وزارة التربيـة

تفسير القرآن الكريم

للصف التاسع

بالمعاهد الدينية

الطبعة الأولى

تفسير القرآن الكريم

للصف التاسع - بالمعاهد الدينية

تأليـــف

أ. نوال عبدالله جميعان (مشرفاً)

أ. منـى فوزان العبيـد

أ. سعـد محسن الشمري

أ. رابـعـــة المكيمـي

أ. حـمـدي الجوهـــري

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ (٢٠١٢ - ٢٠١٣م)

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج

إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى ٢٠١٢ / ٢٠١٣م

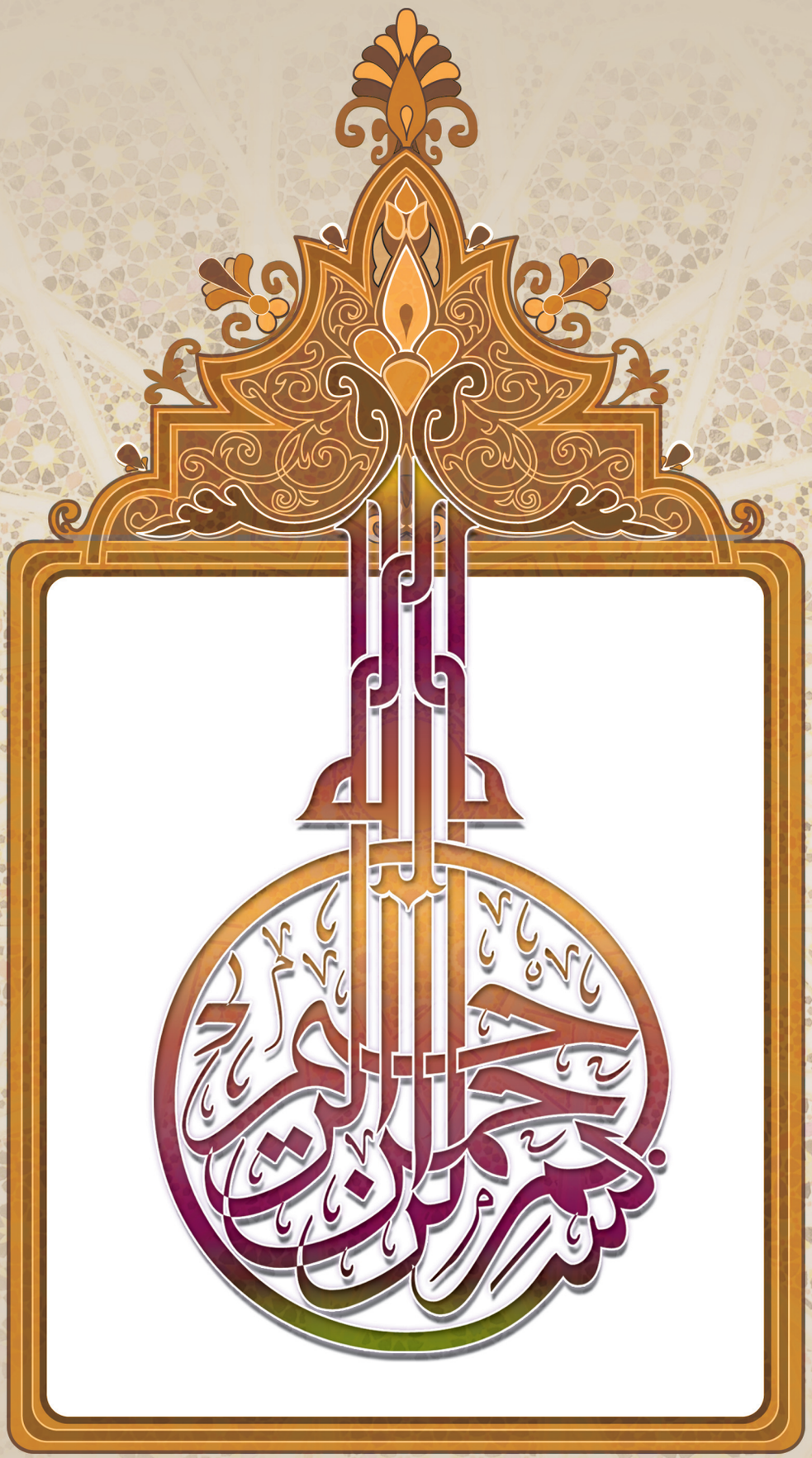
بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

ولي عهد دولة الكويت

المحتوى

		الصفحة
المقدمة		١٣
التمهيد		١٥
السـور		
سبأ	الآيات من إلى	
الدرس الأول	١ - ٦	١٩
الدرس الثاني	٧ - ١٤	٢٥
الدرس الثالث	١٥ - ٢١	٣٥
الدرس الرابع	٢٢ - ٢٧	٤٥
الدرس الخامس	٢٨ - ٣٣	٥٣
الدرس السادس	٣٤ - ٣٩	٦١
الدرس السابع	٤٠ - ٤٥	٦٧
الدرس الثامن	٤٦ - ٥٤	٧٥
فاطر		
الدرس التاسع	١ - ٩	٨٣
الدرس العاشر	١٠ - ١٤	٩٣
الدرس الحادي عشر	١٥ - ٢٣	١٠١
الدرس الثاني عشر	٢٤ - ٢٨	١٠٩
الدرس الثالث عشر	٢٩ - ٣٠	١١٥

الدرس الرابع عشر	٣١ – ٣٧	١٢١
الدرس الخامس عشر	٣٨ – ٤١	١٢٩
الدرس السادس عشر	٤٢ – ٤٥	١٣٥
يس		
الدرس السابع عشر	١ – ١٢	١٤١
الدرس الثامن عشر	١٣ – ٢٧	١٥١
الدرس التاسع عشر	٢٨ – ٣٦	١٦١
الدرس العشرون	٣٧ – ٤٦	١٦٩
الدرس الحادي والعشرون	٤٧ – ٥٤	١٧٧
الدرس الثاني والعشرون	٥٥ – ٦٨	١٨٥
الدرس الثالث والعشرون	٦٩ – ٧٦	١٩٥
الدرس الرابع والعشرون	٧٧ – ٨٣	٢٠٣
المراجع		٢٠٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

فهذا كتاب تفسير القرآن الكريم لطالب المرحلة الثانوية في الصف التاسع بالمعاهد الدينية .

وقد اشتمل المنهج على تفسير سورة سبأ وسورة فاطر وسورة يس، وفي هذه السور العديد من الأمور المهمة التي لها صلة وطيدة بالعقيدة السليمة والتي ينبغي لطالب العلم أن يعيها جيداً مثل: التوحيد ونبذ الشرك وبعض أحداث اليوم الآخر وما يتصل بعبادة الله تعالى حق عبادته.

وقد تمت مراعاة سلاسة العبارة ودقتها دون إسهاب ممل أو اختصار مخل، لتحقيق الأهداف التربوية المرجوة من تدريس مادة (التفسير) لأبنائنا الطلاب.

ويعقب كل درس من الدروس هداية الآيات ثم القيم والاتجاهات المستفادة، وذلك لتتم الغاية من دراسة النص وليسترشد بها الطالب في حياته وسلوكياته.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن تعم به الفائدة للجميع.

المؤلفون

التمهيد

قبل الشروع في دراسة النصوص القرآنية لا بد لنا من وقفة هامة لمعرفة بعض الأمور المتعلقة بالتفسير وبدايته وأنواعه .

علم التفسير أحد العلوم الشرعية الأساسية المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث أنه يهدف إلى:

- تنمية القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من كلام الله ﷻ بالطريقة الصحيحة.
- تذكير المخلوق بحق الله ﷻ.
- تنبيه العابد للاستعداد إلى يوم المعاد.
- تحذير الإنسان من مكائد الهوى والشيطان.

وغير ذلك مما يحصله المؤمن نتيجة معرفته بتفسير كلام الله ﷻ واطلاعه على أسراره وخفاياه.

تعريف التفسير وموضوعه:

والتفسير في اللغة: إنما هو الإيضاح والتبيين.

والتفسير في الاصطلاح هو: كشفُ معاني القرآن وبيانُ المراد منه.

أن غاية علم تفسير كلام الله ﷻ الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، هي التوصل إلى فهم معانيه واستنباط أحكامه ومعرفة مراده للوصول إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

ولما لكلام الله من قدسية، ولما يتوقف على تفسيره من نتائج هامة وأحكام تتعلق بأحوال الخلق، لم يكن علم التفسير بالعلم الذي يقوم دون اعتماد على دعائم أو استناد إلى علوم ومبادئ.

ومن هنا بيّن العلماء أن التفسير يتوقف في معرفته على عدد من العلوم هي: علم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم. وبدون تلك العلوم أو بعضها يُخشى على من يتعرض للتفسير أن يَضل ويُضلّ.

منشأ علم التفسير:

أول من أظهر تفسير القرآن وبيّن للناس معانيه رسول الله -ﷺ- وكان هو أعلم الناس بمعاني كتاب الله وإدراك أسراره ومعرفة مقاصده. بل هو الذي وجّه إليه الله تعالى كلامه حيث قال ﷻ: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: الآية ٤٤).

يقول ابن خلدون في مقدمته: فكان النبي -ﷺ- يبيّن المجمل ويميّز الناسخ من المنسوخ، ويعرّفه أصحابه فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه، كما عُلم من قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (النصر: الآية ١) أنها نعي النبي -ﷺ- وأمثال ذلك، (رواه أبو يعلى البيهقي وابن مردويه عن ابن عمر) ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونُقل ذلك عنهم. ولم يزل ذلك متناقلاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ودونت الكتب فَكُتب الكثير من ذلك، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين، وانتهى ذلك إلى الطبري والواقدي والثعالبي وأمثالهم من المفسرين، فكتبوا ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار.

أشهر المفسرين:

وأجمع العلماء على أن أبرز المفسرين للقرآن من الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وأكثرهم تصدياً وتفسيراً هو علي رضي الله عنه الذي كان يقول: سلوني عن كتاب الله. فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلٍ نزلت أم نهار، أم في سهل أم في جبل.

ومن مفسري الصحابة المشهورين: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- الذي عرف بأنه ترجمان القرآن وشيخ المفسرين وحبر الأمة.

وأما التابعون فأبرز من روى التفسير منهم مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وطاوس وعطاء بن أبي رباح، وهؤلاء أكثر ما رووه عن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وقد روى التفسيرعن ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- علقمة والأسود بن يزيد النخعي وعبيدة بن عمرو السلماني وعمرو بن شرحبيل.

ثم جاءت الطبقة التالية من صغار التابعين، ومن تابعي التابعين، فدونوا الروايات وميّزوها عن علم الحديث، وظهرت في طبقتهم لأول مرة الكتب المتعلقة بالتفسير. يقال: إن عبد الملك بن جريج المتوفى عام ١٤٩هـ أول من جمع الأخبار المتعقلة بالتفسير في كتاب مستقل.

وقد تطور تصنيف علم التفسير بعد ذلك فحذفت الأسانيد من جهة وضمت الروايات المتعددة من جهة أخرى إلى بعضها البعض وبدأ العلماء المفسرون باتخاذ منهج النقد للروايات. والتمييز بينها لقبول الصحيح ورد الضعيف ويعتبر تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠ هـ والمسمى(جامع البيان في تفسير القرآن) أعظم وأقدم تفسير وصل إلينا كاملاً.

وهو بحسب شهادات العلماء المتخصصين من أعظم التفاسير وأجودها، ويقع في ثلاثين مجلداً من الحجم الكبير.

أنواع التفسير:

ولقد تنوعت وتعددت كثيراً كتب التفسير حتى إنها لتكاد لا تقع تحت حصر، وذلك دليل على اهتمام وانشغال الأمة الإسلامية بكتاب ربها وبذلها لجهود كثيرة وحثيثة لشرحه من جوانب عديدة.

ولقد حصر بعض العلماء كتب التفسير المعروفة في مجموعات بحسب تقسيمات علمية على النحو التالي:

التفسير بالمأثور:

أي تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه أو بالسنة النبوية أو بما نقل عن الصحابة الكرام، ثم بما نقل عن التابعين. ومن هذا القبيل تفسير الطبري، ومعالم التنزيل للبغوي، والدر المنثور للسيوطي، وتفسير ابن كثير.

التفسير بالرأي:

وهو تفسير القرآن باجتهاد المفسر معتمداً على أسباب النزول، ودلالة كلمات الآيات، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من أدوات التفسير.

الدرس الأول

المؤمنون يحمدون الله تعالى على نعمه

سورة سبأ - الآيات (من ١- ٦)

تمهيد:

سورة سبأ من السور المكية وهي إحدى خمس سور مفتتحة بالحمد لله (الفاتحة – الأنعام – الكهف - سبأ – فاطر) وكلُّها مكية، فالمؤمنون يحمدون الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة على ما أنعم به عليهم من الفوز بالجنة فيقولون ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ (الأعراف٤٣). ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (فاطر٣٤)، ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ (الزمر٧٤).

النص:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۖ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
الحمد لله	الثناء على الله بصفاته الحميدة وأفعاله الحسنة التي كلها أوصاف كمال.
الحكيم	الذي أحكم أمر الدارين.
الخبير	الذي لاتخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء.
يلج	يدخل.
الرحيم	مشتق من الرحمة التي هي من صفاته سبحانه رحيم بعباده فلا يعاجل العصاه بالعقوبة.
الغفور	الغافر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم بتوبتهم.
لا يعزب عنه	أي لا يغيب عنه.
مثقال ذرة	وزن ذرة، والذرة مفرد ذر وهو صغار النمل.
إلا في كتاب مبين	أي موجود في اللوح المحفوظ.
ورزق كريم	هو الجنة.
معاجزين	مغالبين ظانين أنهم يفوتوننا.
رجـــــز	سيء العذاب وأشده.
أليم	موجع.
صراط	طريق.
العزيز	ذو العزة وهي الغلبة والقوة
الحميد	المحمود.

الشرح الإجمالي للآيات

الملك لله تعالى وحده:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ يخبر الله تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة، لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة المالك والحاكم لجميع ذلك كما أخبر تعالى بموجب حمده وشكره ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وليس لأحد سواه ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي يكرم أولياءه فينزلهم دار السلام فيحمدونه على ذلك ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ أي هو المصرف لأمور عباده وسائر مخلوقاته بحكمة، لأنه الخبير بأحوالها العليم بصفاتها الظاهرة والباطنة. ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ ﴾ أي ما يدخل في الأرض من مطر وكنوز وأموات وغيرها ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ أي من الأرض من نبات ومعادن ومياه وغيرها ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ من أمطار وملائكة وأرزاق العباد وغيرها ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ ما يصعد من ملائكة وأعمال العباد وغيرها، ومن يعلم ذلك كله يعلم من باب أولى ما يدب عليها وما يجول في أرجائها ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ أي الرحيم بعباده فلا يعاجل من عصوه بالعقوبة، والغفور عن ذنوب التائبين إليه، وفي تلك الآيات تقرير توحيد الله في ربوبيته وألوهيته.

عقيدة البعث والجزاء:

والآيات التالية فيها تقرير عقيدة البعث والجزاء، فقال تعالى مخبراً بما قاله منكروا البعث والجزاء.﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ﴾ وهو إنكار منهم للبعث، والساعة هنا ساعة الفناء والبعث.

ورُوِيَ في سبب نزول الآية أن أبا سفيان هو الذي قال هذه المقالة حيث قال لأهل الكفر بمكة:واللات والعزى لا تأتينكم الساعة ولا نبعث أبداً، فأمر الله تعالى رسوله -ﷺ- أن يرد دعواهم: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ أي أقسم لهم بالله تعالى ربه ورب كل شيء على وقوع المعاد ثم وصفه بما يؤكد ذلك ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ أنه عالم بكل ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ... ﴾ أي لا يغيب عن علمه وزن ذرة ولا أصغر من ذلك

ولا أكبر منها إلا مثبت وموجود في اللوح المحفوظ، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت فهو عالم أين ذهبت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة.

الجزاء من جنس العمل:

﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ ﴾ في هذه الآيات بيان الحكمة من كتابة الأحداث وإعادة الأبدان ليجزي تعالى الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات واللام في قوله ﴿ لِيَجْزِيَ ﴾ للتعليل، أي إتيان الساعة فائدته جزاء المؤمنين بالثواب والكافرين بالعقاب ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي أولئك الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الفرائض والسنن ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ في الجنة.

ثم ذكر فريق الكافرين الذين يعاقبون عند إتيان الساعة فقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي سعوا في الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسله ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ أي ظانين أنهم غالبين الله بعجزه عنهم فلا يبعثهم ولا يحاسبهم ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ أي أولئك لهم أسوأ العذاب وأشده وأكثرهم ألماً﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ... ﴾ أي ويعلم علماء أهل الكتاب بأن القرآن حق ناتج لموافقته لما في التوراة والأنجيل، وأن ذلك السعي منهم يدل على جهلهم لأنهم مخالفون لما يعلمه أهل العلم في شأن القرآن ﴿ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ﴾ وما يعلمه علماء أهل الكتاب من أن القرآن يهدي إلى طريق الله ﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلْحَمِيدِ ﴾ عند خلقه.

من هداية الآيات:

- وجوب حمد الله تعالى وشكره بالقلب واللسان والجوارح.
- بيان علم الله تعالى بالظواهر والبواطن في كل خلقه.
- تقرير توحيد الله تعالى في ربوبيته وإلوهيته.
- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- تقرير عقيدة القضاء والقدر وكتابة الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ.
- طلب شهادة أهل الكتاب على صحة الإسلام والحصول عليها لموافقة التوراة والإنجيل للقرآن.

القيم المستفادة:

- محبة الله ﷻ وحمده.
- الإقرار بوحدانية الله ﷻ وشمولية علمه.
- الاستسلام لقضاء الله ﷻ وقدره.

التقويم

س١ – بَيِّنْ معنى المفردات التالية

– وما يخرج منها: .....

– لا يعزب: .....

– معاجزين: .....

س٢ – بِمَ تعلل تسجيل الملائكة لأعمال العباد في الحياة الدنيا؟

.....

.....

س٣ – ختمت الآية بقوله تعالى ﴿ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾، فعلام يدل ذلك؟

.....

.....

س٤ – استخرج من الآيات ما يدل على:

– اجتهاد بعض الكفار في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله.

.....

– أقسم الله ﷻ على قيام الساعة.

.....

الدرس الثاني

نعم الله تعالى على عباده

سورة سبأ - الآيات (من ٧- ١٤)

التمهيد:

قررت الآيات السابقة عقيدة البعث والجزاء ولا يزال السياق في تقرير ذلك، فقد أورد الله تعالى في هذه الآيات ما يتناقله المشركون بينهم في تهكم واستهزاء واستبعاد للحياة الآخرة، ثم رد الله تعالى مهدداً لهم لعلهم يرتدعون عن التهجم والتهكم بالنبي -ﷺ- وذكرّهم بمظاهر قدرته وإنعامه على عباده المؤمنين ترغيباً في طاعته والبعد عن معصيته.

النص:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ
وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ
وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا
عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
مزقتم كل ممزق	إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرق
خلق جديد	تعودون أحياء لم ينقص منكم شيء.
أفلم يروا	أفلم ينظروا.
كسفاً	قطعاً من العذاب، جمع كسفة أي قطعة.
إن في ذلك لآية	علامة واضحة ودليلاً قاطعاً على قدرة الله تعالى.
لكل عبد منيب	لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة ومقر له بتوحيده ومخلص له في العبادة.
فضلاً	نبوة وملكاً وكتاباً وعلماً.
أوبي معه	رددي وسبحي معه.
وألنا له الحديد	جعلنا الحديد ليّناً في يديه كالعجينة يعجنها كما يشاء.
من محاريب	جمع محراب وهو البناء الحسن أشرف شيء في المسكن وصدره وقيل هي المساكن.
جفان	جمع جفنة: وهي القصعة الكبيرة.
كالجواب	جمع جابيه وهي كالأحواض التي حول الآبار يجبي ويجمع فيها الماء.
دآبة الأرض	الأرضة ، وهي حشرة من حشرات الأرض.
منسأته	عصاه، بلغة الحبشة.
فلما خر	سقط على الأرض ميتاً.
تبينت الجن	انكشف لها ما توهمت.
في العذاب المهين	وهي خدمة سليمان عليه السلام في الأعمال الشاقة

الشرح الإجمالي للآيات:

افتراءات المشركين:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ هذا إخبار من الله ﷻ عن استبعاد الكفرة الملحدين قيامَ الساعة واستهزائهم بالرسول -ﷺ- وتكذيبه في إخباره بأنهم إذا ماتوا وتفرقت أجسادهم في الأرض وتمزقت كل ممزق سيحيون ويبعثون من قبورهم ويعودون أحياء كما كانوا أي لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد وتجرأ التكذيب على الله تعالى ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ أو أنه ليس عليه كما يلبّس على المعتوه والمجنون.

وقوله تعالى ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾ فقال تعالى رداً عليهم ليس الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد -ﷺ-، وظنوا به بل هو أصدق الصادقين ولكن الذين لا يؤمنون ولا يصدقون البعث سيكونون في الآخرة في عذاب الله، أما في الدنيا فهم بعيدين عن طريق الحق والصواب ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ ينبّه الله تعالى ويلفت أنظار هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، فيعلمون أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم؛ فيرتدعوا عن جهلهم وينـزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرًا أن نأمر الأرض فتخسف بهم كما فعلنا بقارون أو السماء فتسقط عليه قطعاً من العذاب كما فعلنا بقوم شعيب حين أمطرت السماء عليهم ناراً فأحرقتهم، عقوبة لكم لظلمكم ولقدرتنا عليكم ولكنا نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا، ثم قال ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ ففي النظر إلى إحاطة السماء والأرض بعباد الله لآية ودلالة لكل عبد رجع عن ذنبه وأقبل على ربه بالتوبة، فتوجهت إرادته إلى توحيده والإقرار بربوبيته والإذعان لطاعته والانشغال بمرضاته فيكون نظرة لكل خلق الله نظر عبرة لا نظر غفلة.

نبي الله داود عليه السلام

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود – صلوات الله وسلامه عليه – مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات. وفي الصحيح أن رسول الله –ﷺ– سمع صوت أبي موسى الأشعري يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال « لقد أوتي هذا مِزْمَارًا من مزامير آل داود»[1].

ومعنى قوله تعالى كما قال ابن عباس وجاهد﴿ أَوِّبِى ﴾ أي سبحي. والتأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه التسبيح بأصواتها مجاوبه له وهذا من نعم الله عليه خاصّة.

وقوله ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ قال الحسن البصري كان لا يحتاج أن يُدخلَه ناراً ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط؛ ولهذا قال﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ وهي الدروع.

قال قتادة:وهو أول من عملها من الخلق، وإنما كانت قبل ذلك صفائح. ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ هذا إرشاد من الله لنبيه داود، عليه السلام، في تعليمه صنعة الدروع. قال مجاهد في قوله: ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ لا تُدِقّ المسمار فَيقلَق في الحلقة، ولا تُغَلّظه فيفصمها، واجعله بقدر.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: السرد: حَلَق الحديد. وقال بعضهم: يقال: درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق.

وقوله﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ أي: في الذي أعطاكم الله من النعم شكراً له سبحانه، ﴿ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي مراقب لكم، بصير بأعمالكم وأقوالكم، لا يخفى علي من ذلك شيء.

---

(١) – رواه البخاري ١٩٢٠، ومسلم ٥٤٣.

نبي الله سليمان عليه السلام:

﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان، من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر.

قال الحسن البصريكان يغدو على بساطه من دمشق فينـزل باصطخر يتغذّى بها، ويذهب رائحاً من اصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع، وبين اصطخر وكابل شهر كامل للمسرع.

وقوله ﴿ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ ﴾ قال ابن عباس: القطرالنحاس. قال قتادة وكانت باليمن، فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان، عليه السلام.

قال السدي: وإنما أسيلت له ثلاثة أيام.

وقوله﴿ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ ﴾ أي: وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله، أي بقدره، وتسخيره لهم. ﴿ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا ﴾ أي ومَنْ يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿ نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ وهو الحريق.

وقوله﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ أما المحاريب فهي البناء الحسن، وهو أشرف شيء في المسكن وصدره. وقال مجاهد: المحاريب بنيان دون القصور. وقال الضحاك: هي المساجد. وأما «التماثيل» فقال الضحاك: التماثيل هي الصور. قال مجاهد أنها كانت من نحاس. وقال قتادة: من طين وزجاج.

وقوله ﴿ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ﴾ الجواب: جمع جابية، وهي الحوض الذي يجمع ويجبى فيه الماء.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (كَالْجَوَابِ) أي: كالجوبة من الأرض.

والقدور الراسيات: أي الثابتات، في أماكنها لا تتحول ولا تتحرك عن أماكنها لعظمها.

وقوله ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ أي وقلنا لهم اعملوا شكراً على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين.

وشكراً: مصدر من غير الفعل، أو أنه مفعول له، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية.

قال أبو عبد الرحمن الحُبلي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله شكر. وأفضل الشكر الحمد. أورده ابن جرير. وعن محمد بن كعب القُرَظي قال: الشكر تقوى الله والعمل الصالح.

وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل، وقد كان آل داود – عليه السلام– كذلك قائمين بشكر الله قولاً وعملاً.

وفي الصحيحين عن رسول الله –ﷺ– أنه قال: «إن أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داودَ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً. ولا يَفر إذا لاقى»[(١)].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله –ﷺ– «قالت أمّ سليمان بن داود لسليمان: يا بني، لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة»[(٢)].

الترغيب والترهيب

وقوله ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ إخبار عن الواقع بأن داود وآله من القليل الشكور والقلة المعترفين بإنعام الله وإمتنانه عليهم.

---

(١) – رواه البخاري ٣٨٠/١ – ٦٩٨٢، مسلم ٨١٤/٢ – ٨١٦.

(٢) – أورده المنذري في الترغيب والترهيب ١/٣٠٣ (قيل في إسناده احتمال التحسين).

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾. يذكر تعالى كيفية موت سليمان -عليه السلام- وكيف عَمَّى الله موته على الجانّ المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئًا على عصاه ـ وهي مِنْسَأته كما قال ابن عباس ـ مدة طويلة نحواً من سنة، فلما أكلتها دابةُ الأرض، وهي الأرضة، ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلِمَ أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ـ تبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك.

من هداية الآيات

- بيان ما كان المشركون عليه من استهزاء وتكذيب وسخرية بالنبي -ﷺ-.
- تقرير البعث وأن المكذبين به محكوم عليهم بالعذاب فيه.
- لفت الأنظار إلى قدرة الله تعالى المحيطة بالإنسان ليخشى الله تعالى فيؤمن به ويعبده ويوحده.
- فضل الإنابة إلى الله تعالى وشرف المنيب.
- بيان إكرام الله تعالى لآل داود وما وهب داود من الآيات.
- شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما خصّه الدليل كتحريم الصور والتماثيل علينا ولم تحرم عندهم.
- الغيبْ علم اختص به الله تعالى، ولا يصدق إنس أو جن عن ذلك.

القيم المستفادة:

- شكر الله تعالى على نعمه.
- التصديق بإحاطة علم الله تعالى.
- طاعة الله تعالى والخضوع لأوامره.

التقويم

س١ – صل بين الكلمة ومعناها فيما يلي:

جفان	عصا
محاريب	البناء الحسن
منسأة	قصاع
	الأحواض التي تكون حول الآبار

س٢ – عبِّرْ بإيجاز مستدلاً من آيات الدرس عن نعم الله على سليمان عَلَيْهِ السَّلامُ.

.....

.....

س٣ – بم تعلل أمر الله للمكذبين بالنظر إلى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض؟

.....

س٤ – بَيِّنْ الحكمة من ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾.

.....

.....

س٥ – كيف سخر الله ﷻ الريح لسليمان عَلَيْهِ السَّلامُ؟

.....

.....

.....

س٦ – استخرج من الآيـات ما يتوافق مع قوله تعالى: ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[1] ثم اشرح الآية.

الآية. .....

الشرح. .....

.....

.....

س٧ – صف شعورك عندما تسمع كيفية اكتشاف الجن وفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلامُ ،ثم بيّن الحكمة من إخفاء موته عنهم.

.....

.....

(١) – سورة الزخرف الآية ٣٢.

الدرس الثالث

نعم الله تعالى على عباده

سورة سبأ - الآيات (من ١٥ - ٢١)

التمهيد:

من نعم اللّه ولطفه بالناس أنْ قص عليهم في القرآن أخبار السابقين من المهلكين والمعاقبين، ويشاهدون آثار العقوبة، ويتناقلون أخبارهم، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فيحذر كل الحذر مما أوقعهم في الهلاك من بطر النعمة، والكفر بالمنعم فإن عاقبتهما سلب كل النعم، ونزول عظيم النقم أعاذنا الله من سخطه وعقابه.

النص

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
سبأ	قبيلة في اليمن.
مسكنهم	ببلدة في اليمن يقال لها مأرب.
جنتان	بستانان.
بلدة طيبة	خصبة في أرضها، طيبة في هوائها.
فأعرضوا	فصدوا.
سيل العرم	الماء الجارف الشديد الذي خرَّب السد وأغرق البساتين.
أكل خمط	الثمر المر الكريه الطعم.
وأثل وشيء من سدر قليل	من أنواع الشجر.
نجازي	نعاقب.
قرى ظاهرة	مدن واضحة على أماكن مرتفعة.
أحاديث	أمثلة وعبرة لمن يأتي بعدهم.
مزقناهم	فرقناهم وشردناهم.
صبّار	كثير الصبر على المكاره والشدائد.
شكور	كثير الشكر لله على نعمه.
ولقد صدق عليهم إبليس ظنه	تحقق ظن إبليس فيهم.
سلطان	حجة في اتباعه.
حفيظ	يحصي أعمال العباد ويسجلها.

الشرح الإجمالي للآيات:

قصة سبأ

يقص تعالى علينا قصة قبيلة سبأ التي تعيش في مدينة مأرب باليمن، وكيف أنعم الله عليها بنعم كثيرة حتى كانت آية من آيات الله الدالة على قدرته وعظمته قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾

كانت لهذه القبيلة جنتان عن يمين وشمال الوادي بين جبلين فتغل لهم تلك الجنتان العظيمتان من الثمار ما يكفيهم حتى أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل[1] فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قُطَّاف، لكثرته ونضجه واستوائه، وأنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، فاتسعت لديهم النعمة وفاض عندهم الخير، ليوحدوا الله ويعبدوه ويشكروه فيأكلوا من رزقه وينعموا بمغفرته ورضوانه إن استمروا على التوحيد.

عاقبة الجحود

﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾

فلما طغوا وقابلوا النعمة بالجحود والنكران، وقابلوا المنعم بالصد والإعراض أرسل الله لهم السيل الجارف الذي خرّب سدهم وأتلف جناتهم فتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة، إلى شجر الأراك والطرفاء والسّدْر[2] ذي الشوك الكثير والثمر القليل. وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل؛ « وقد قال الحسن البصري: صدق الله العظيم. لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور.

---

(١) – الزنبيل: وعاء تضع فيه الثمار.

(٢) – الأراك و الطرفاء والسدر أنواع من الأشجار لا يتنفع بها الإنسان كثيراً.

نعم الله ﷻ على سبأ

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغِبْطة والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حَمل زاد ولا ماء، فحيث نـزل وجد ماء وثمراً، ويَقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم، فقالوا كفراً وبطراً:

﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾

فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز[1] لنركب فيها الرواحل ونتزود الأزواد، فعجّل الله لهم الإجابة. قال مجاهد: «بطروا النعمة وسئموا الراحة». فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالبطر والطغيان. كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في مَنّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب؛ ولهذا قال لهم: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ (البقرة٦١)، وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ ﴾ (القصص٥٨)، فَجَعَلْنَاهُمْ عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم، فذكر الله كيف فرقّهم في كل وجه من البلاد كل التفريق.

قال الشعبي «لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد، أما غسان فلحقوا بالشام ومرّ الأزد إلى عمان، وخزاعة إلى تهامة، ومرّ آل خزيمة إلى العراق، والأوس والخزرج إلى يثرب، وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر، وهو جد الأوس والخزرج». إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبةً على ما ارتكبوه من الكفر والآثام لعبرةً وَدَلالةً لكل عبد صبّار على المصائب، شكور على النعم. و شاهده في صحيح مسلم من حديث صهيب الرومي -رضي الله عنه-.

---

(١) - فلوات جمع فلاة وهي الأرض التي لم يصبها مطر، والمفاوز البَرِّيَّةُ القَفْرُ، وتجمع المَفاوِزَ.

قال رسول الله -ﷺ- «عجباً لأمر المؤمن. إن أمره كله خير. وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر. فكان خيراً له. وإن أصابته ضراء صبر. فكان خيراً له»[١].

ظن إبليس

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

لما ذكر الله تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى، وخالف الرشاد والهدى، فقد ظن فيهم إبليس ظناً حيث قال ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (ص٨٢)، ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف١٧) فصدُق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه، ﴿ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الحجر٤٢) فهذا خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ﷻ ولا يعصونه.

قال ابن قتيبة: إن إبليس لما سأل النّظِرَة فأنظره الله ﷻ، قال لأغوينهم ولأضلنهم، لم يكن مستيقنًا وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظناً، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم. وقال الحسن: إنه لم يسلّ عليهم سيفاً ولا ضربهم بسوط وإنما وعدهم ومناهم فاغتروا.

﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾

ويقول تعالى إنما سلطناه عليهم ليظهرَ أمر مَنْ هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء، فيُحسِنَ عبادة ربه عزوجل في الدنيا، ممن هو منها في شك. ومع حفظه ضَلّ من ضَلّ من أتباع إبليس، وبحفظه و كلاءته سَلِم مَنْ سلم من المؤمنين أتباع الرسل.

---

(١) – رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق: باب: المؤمن أمرُه كلُّهُ خير ٢٩٩٩.

من هداية الآيات:

- الاتعاظ والاعتبار بقصص القرآن الكريم.
- الحذر من الإعراض عن المنعم وعبادته، وبطر نعمته.
- إن شكر الله حافظ للنعمة، دافع للنقمة.
- بيان صدق المرسلين بما أخبروا بِهِ.
- فضيلة الصبر على فعل الطاعات وترك المنكرات.
- الحذر من الوقوع في غواية إبليس.

القيم المستفادة:

- التصديق بآيات القرآن الكريم.
- شكر النعم.
- الحذر من سخط الله تعالى.

التقويم

س١ - ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ – سبأ قبيلة عربية. (.....)

٢ – آية سبأ قصور عظيمة وأموال طائلة. (.....)

٣ – كان لسبأ قرى متباعدة. (.....)

٤ – البلدة الطيبة كانت مدينة مأرب. (.....)

٥ – أرسل الله سيل العرم عقوبة لسبأ. (.....)

٦ – كان السفر بين قرى سبأ آمناً لتقارب القرى. (.....)

٧ – يستطيع إبليس غواية جميع الناس. (.....)

٨ – الشك في اليوم الآخر يخدش الإيمان. (.....)

س٢ - أجب عما يأتي:

١ – عدِّد النعم التي أنعم الله بها على قبيلة سبأ؟

.....

.....

.....

.....

.....

٢ – كيف عاقب الله قبيلة سبأ؟

.....

٣ – بم استحقت قبيلة سبأ العقوبة التي أرسلها الله تعالى إليها؟

.....

س٣ – علل ما يأتي:

١ – ذكر الله تعالى قصة قبيلة سبأ في الكتاب العزيز.

.....

.....

٢ – ذكر الله تعالى فضيلة الصبر والشكر.

.....

.....

س٤ – استخرج من الآيات ما يدل على الحقائق التالية:

١ – للإعراض عن الله ﷻ عواقب وخيمة.

.....

.....

٢ – جعل الله ﷻ من قبيلة سبأ عبرة ومثلاً يعتبر به الناس.

.....

.....

س٥ - استخرج من كتب التفسير معاني المفردات التالية:

١ - سيل العرم .....

٢ - أكل خمط .....

٣ - قرى ظاهرة .....

س٦ - اكتب فيما لا يزيد عن خمسة أسطر عن الآتي:

١ - أثر الإعراض عن الله وبطر النعم.

.....

.....

.....

٢ - فضيلة الصبر و أثرها على الصابر.

.....

.....

.....

.....

«التوحيد»

الدرس الرابع

سورة سبأ - الآيات (من ٢٢ - ٢٧)

التمهيد:

الله تعالى هو الإله الواحد الأحد، الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، بل هو المتفرد بالأمر وحده، من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فلا يستحق العبادة سواه فهو خالق الخلق ومدبر شؤونهم، وكل من يعبد غير الله ظلم نفسه وضل ضلالاً كبيراً، ولا حجة له عند ربه يوم القيامة.

النص:

قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۙ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
مثقال	وزن مُتَناهٍ في الصغر.
ظهير	معين.
فزع عن قلوبهم	إزالة الفزع والخوف من قلوبهم.
العلي	العلي فوق كل شيء علو ذات وقهر ومكانة.
الكبير	هو الكبير المتعالي الذي كل شيء دونه.
أجرمنا	أذنبنا.
يفتح بيننا	يقضي و يحكم بيننا بالعدل.
الفتاح	الحاكم لأنه يفتح طريق الحق ويظهره.
قل أروني	أعلموني وأخبروني.

الشرح الإجمالي للآيات:

عجز الأنداد

يخاطب الله تعالى المشركين المنكرين الجاحدين لنعم الله ﷻ من خلقه خطاباً فيه توبيخ وتحدي، فيقول لهم:

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ ﴾

أي ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم شركاء لله فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا من نفع وضر، واقصدوهم في حوائجكم فإنهم لن يجيبوكم، فهم لا يملكون وزن ذرة في

السموات ولا في الأرض، وليس لهم شركة فيهما، وليس لله ﷻ من هذه الأنداد من عون يعينه بشيء، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه وهو الواحد الأحد.

ويقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾، أي فلعظمته وجلاله لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة، كما قال تعالى ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (البقرة٢٥٥)، ولهذا ثبت في الصحيحين، من غير وجه عن رسول الله -ﷺ- وهو سيد ولد آدم، وأكبر شفيع عندالله أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق يأتون محمداً -ﷺ- فيقولون يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يارب أمتي أمتي فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سواه ذلك من الأبواب..»[1] والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصرايع الجنّة لكما بين مكة وهجر أو كما بين وبصرى.

معنى الشفاعة

والشفاعة في اللغة من الشفع، وهو ضد الوتر. وتعريفها عرفاً وشرعاً هو «سؤال الشافع الخيرَ لغيره». أو «توسط الشافع لغيره بجلب نفع أو دفع ضر، أو رفعه». أو «هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم». وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾. وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة. وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السموات كلامه، أرْعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي. قاله ابن مسعود ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ أي زال الفزع عنها. فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛

---

(١) - رواه البخاري في كتاب الرقاق ٦٥٦٥، ومسلم في كتاب الإيمان ١٩٤.

ولهذا قال: ﴿ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ ﴾ أي أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ وهو العلي بذاته وقهره وعلو قدره، الكبير على كل شيء. ولا زالت الآيات تقيم الحجج على المشركين وتبطل دعواهم فيأمر تعالى نبيه أن يقول:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

يقول تعالى مقرراً تفرُّدَه بالخلق والرزق، وانفراده بالألوهية أيضاً، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات والمعادن وغير ذلك إلا الله، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره. وقوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾:

قال قتادة: هذا من باب تقرير أن أحد الفريقين مبطل، والآخر محق، فلا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله. قد قال ذلك أصحاب محمد -ﷺ- للمشركين والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد. وهذا أسلوب فيه تلطف مع الخصم المعاند وذلك من خلال التدرج في مجادلته حتى لا يثور فيلج في العناد ولا يفكر فيما يجادل.

البراء من المشركين:

وقوله تعالى ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

معناه التبري منهم، أي قل لهم يا محمد أن كل منا ومنكم، له عمله فأنتم (لا تسألون) عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق وسلوك طريق الإنصاف، ودعوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعاً لكم من اتباع الحق، فإن أحكام الدنيا تجري على الظواهر، ويتبع فيها الحق، ويجتنب الباطل، وأما الأعمال فلها دار أخرى، يحكم فيها أحكم الحاكمين، ويفصل بين المختصمين، أعدل العادلين. ولهذا قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾

أي يوم القيامة، يجمع بين الخلائق في صعيد واحـد، ثم يفتح بيننا بالحق، أي يحكم بيننا بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية، كما قال تعالى﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الروم١٤ – ١٦)؛ ولهذا قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور.

﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرُونِيَ ﴾ أراد الله به إثبات عجز الكافرين عن إحضار أدلة تثبت صدق عبادتهم بمعنى أروني هذه الألهة التي جعلتوها لله أنداداً وصيرتموها له عدلاً ولما عجزوا زجرهم ب ﴿ كَلَّاۚ ﴾ أي ليس له نظير ولا ند به ولا شريك ولا عديل فردعهم بها وحملهم على الاعتراف ببطلان آلهتهم وفساد عقيدتهم ولهذا قال ﴿ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ أي الواحد الأحد الذي لا شريك له ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ اي ذو العزة التي قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله وشرعة وقدره.

من هداية الآيات:

- يحفظ الله تعالى أعمال العباد و أقوالهم ثم يجازيهم عليها في الآخرة.
- إقامة الأدلة والبراهين على إثبات التوحيد، وإبطال الشرك.
- كل ما يعبد من دون الله باطل ولا ينفع ولا يضر.
- لا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً.
- تدبير الله تعالى الواحد الأحد لشؤون مخلوقاته بالرزق والهداية.
- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- الله تعالى غالب على أمره، فالله هو الحكيم في تدبيره لخلقه.

القيم المستفادة:

- توحيد الله تعالى.
- الدعوة إلى الله تعالى.
- تعظيم أسماء الله تعالى وصفاته.

س١ – ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، أو علامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ – يخاطب الله تعالى في قوله ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم. (.....)

٢ – الشفاعة مقام عظيم يهبه الله يوم القيامة لكل من أرادها من خلقه. (.....)

٣ – ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ تعني زال الفزع والخوف عنهم. (.....)

٤ – ﴿ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ يعني الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور. (.....)

س٢ – أجب عما يأتي:

١ – ما الأسلوب الذي استخدمه الله – تعالى– في دعوة المشركين كما في الآيات؟

.....

٢ – عدِّد الحجج التي عرضها الله ﷻ للمشركين لإثبات وحدانيته.

.....

س٣ – أكمل العبارات التالية بما يناسبها ويكمل معناها:

١ – (الله العلي) يعني .....

(والله الكبير) يعني .....

٢ – قوله تعالى ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ تقرر الآية أن أحد الفريقين.

..... والآخر .....

٣ – قوله تعالى ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ أي يوم .....

٤ – قوله تعالى ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أي .....

س٤ - استخرج من الآيات ما يدل على الحقائق التالية:

١ – لا شريك لله ﷻ في ملكه ولا نظير له ولا ند ولا معين.

.....

٢ – كل شفاعة باطلة، إلا شفاعة من يأذن له الله ﷻ.

.....

٣ – لا يسأل أحد يوم القيامة عن ذنب غيره.

.....

الدرس الخامس

عالميةُ الدعوة وجزاءُ من كفَر بها

سورة سبأ - الآيات (من ٢٨ - ٣٣)

التمهيد:

كتاب الله تعالى كلُّهُ دلائلُ وبراهينُ على إثبات التوحيد وإبطال كل ما يتعلَّق به المشركون لتبرير شركهم، وفيه ما فيه منها من صدق دعوة النبي -ﷺ- وعمومها لجميع الناس، وفي الحديث قال جابر بن عبدالله الأنصاري قال رسول الله -ﷺ- أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصِرْتُ بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأعطِيتُ الشفاعة»[1].

وفي كتاب الله أيضاً الردُّ على أهل الشرك والعناد في تكذيبهم للدعوة وصدهم عن سبيل الله واستبعادهم لوقوع القيامة، وما سيحصل لهم يوم القيامة من التلاوم والتخاصم بين التابعين والمتبوعين منهم.

وهذه الآياتُ التي معنا تبيِّنُ ذلك.

النص:

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ

(١) - رواه مسلم في كتاب المساجد (٥٢١)

وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
إلا كافة للناس	أي للناس جميعاً.
بشيراً	مبشراً من أطاعك بالجنة. والبشارة هي الإخبارُ بما يَسُرُّ.
نذيراً	منذراً من عصاك بالنار. والإنذار هو التخويفُ والتحذير.
ولا بالذي بين يديه	مما تقدم القرآن من الكتب كالتوراة والإنجيل والزبور.
موقوفون	محبوسون وممنوعون.
الذين استضعفوا	ممن استحقروا وهم الأتباع.
الذين استكبروا	هم السادة والأشراف مَنْ عَلَوْا على الضعفاء.
أنحن صددناكم عن الهدى	أنحن منعناكم عن الخير الذي جاء به محمد -ﷺ-.
مكر الليل والنهار	أصل المكر هو الإيقاع بالخصم من غير أن يشعر، وهي الحيلة والخديعة.
ونجعل له أنداداً	نظراء وشركاء.
وأسرّوا الندامة	أخفوا الندامة والحسرة.
الأغلال	جمع غل وهي السلاسل التي تجمع أيديهم من أعناقهم.

الشرح الإجمالي للآيات:

أدلة التوحيد:

ما زال سياق الآيات في بيان الأدلة على توحيد الله وعبادته وحده وإبطال الشرك، مبيناً ﷻ في هذه الآيات عموم دعوة النبي -ﷺ- إلى جميع الناس؛ قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم ؛ ﴿ وَكَآفَّةٗ ﴾ بمعنى جامع، والهاء فيه للمبالغة مثل علاَّمة، ﴿ بَشِيرٗا ﴾ مبشراً من أطاعك بالجنة، ﴿ وَنَذِيرٗا ﴾ منذراً من عصاك بالنار ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ عموم دعوتك.

إصرار المشركين على الكفر:

ثم ذكر الله تعالى ما يتساءل به المشركون من استبعادهم لوقوع القيامة وتحققها ؛ وتعجبهم من ذلك أو قالوا ذلك استهزاء وسخرية ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أَمَرَ الله تعالى نبيَّه -ﷺ- أن يردَّ عليهم بقولِهِ ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ ﴾ والميعاد هو الميقات والمراد به يوم القيامة ﴿ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ ﴾ إذا جاءكم ﴿ سَاعَةٗ ﴾ جزء قليل من الوقت ﴿ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ قبل مجيئِهِ لأنَّ الله جعله في يوم محدَّد لا يتأخر عنه ولا يتقدم.

ثم يخبر الله تعالى عن إصرار الكافرين على كفرهم بقولِهِ تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ الذي جاء به محمدٌ -ﷺ- ولن نؤمن بالكتب التي تقدمته كالتوراة والإنجيل والزبور، وهذا الذي قالوه إنما قولهم في الحياة الدنيا، ولكنك يا محمد لو ترى قولهم في الآخرة لرأيتهم يتلاومون ويتخاصمون ثم يندمون على تكذيبهم وعدم إيمانهم في الدنيا.

يوم لا ينفع الندم:

قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ ﴾ محبوسون للجزاء ﴿ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ يراجع بعضهُم بعضاً في القول الذي ذكره الله تعالى عنهم في مخاصمتهم وهو ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ ﴾ وهم الأتباع ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾ وهم السادةُ والأشراف في الدنيا ﴿ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴾ لولا أن أضللتمونا عن الخير الذي جاء به محمد -ﷺ- لَكُنَّا

مؤمنين به، ولكنكم حسّنتم لنا الباطل حتى أوقعتمونا بما نحن فيه.

ثم ردّوا السادة الإشراف بقولهم:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴾ أي أنحنُ صرفناكم عن الإيمان بعد أن جاءكم به محمد -ﷺ- بل أنتم الذين أجرمتم من تلقاء أنفسكم، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم ؛ والغرض من هذا الاستفهام الإنكار.

ثم ردَّ عليهم الضعفاء﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي خبثكم وخديعتكم لنا في الليل والنهار بأن كنتم ﴿ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ﴾ شركاء ونظراء في عبادته، وهذا الذي صدّنا عن الهدى.

ثم أخبر الله تعالى أنَّ كلاً من الضعفاءِ والمستكبرين يخفون الندامة في أنفسهم لما عاينوا العذاب حيث لا ينفع الندم. قال الله تعالى:﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ ﴾ وهي السلاسل ﴿ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ إنما نجازيهم بحسب أعمالهم لقوله تعالى:﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[1]. وفي هذه الآيات تعبير بصيغة الماضي التي تدل على وقوع المخاصمة وانقضائها، ولكن قال العلماء: إن هذا الأسلوب معروف في بلاغة اللغة العربية حيث تصوير هذا الأمر وكأنه حاضر وهذا أبلغ ما يكون.

من هداية الآيات:

- عمومُ دعوة النبي -ﷺ- إلى جميع الناس عربهم وعجمهم.
- إنما يستعجلُ بيوم القيامة مَنْ لا يؤمن بها استبعاداً لوقوعها، أما المؤمنون فإنهم خائفون وجلون منها.
- ليوم القيامة وقتٌ محدد لا يتقدم ولا يتأخر.
- إثبات عقيدة البعث يتمثل بإبراز مشهد من مشاهد يوم القيامة.
- مضرة مصاحبةِ الأشرار وطاعتهم من دون الله تعالى.
- بيانُ ما عليه أهل الباطل من الصدِّ عن الهدى بكل وسيلة ممكنة.

---

(١) – الكهف آية (٤٩)

القيم المستفادة:

- الاعتزاز بالرسالة.
- تعظيم يوم القيامة.
- صحبة الأخيار.

التقويم

س١ - ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ - من وظائف الرسول -ﷺ- البشارة دون غيرها. (.....)

٢ - دعوة الإسلام دعوة إقليمية. (.....)

٣ - التخاصم والتلاوم بين التابعين والمتبوعين في النار مشهد من مشاهد يوم القيامة.

(.....)

س٢ - أجب عما يأتي:

١ - تحدثت الآيات عن مشهد من مشاهد يوم القيامة.. وضح ذلك.

.....

.....

٢ - ما المقومات التي جعلت دعوة النبي -ﷺ- عامة لجميع الناس؟

.....

.....

٣ - هل يعفو الله تعالى عن التابعين المستضعفين؟ ولماذا؟

.....

.....

س٣ - علل لما يأتي:

١ - يخفي كلٌّ من التابعين والمتبوعين الندامة إذا رأوا العذاب.

.....

٢ - اشتمال دعوة النبي -ﷺ- على البشارة والنذارة.

.....

س٤ - استخرج من الآيات ما يدل على الحقائق التالية:

١ - استبعاد الكفار ليوم القيامة.

.....

٢ - من ألوانِ العذابِ في النار بأن تُجعلَ السلاسلُ على الكافرين.

.....

س٥ - ارجع إلى كتب التفسير واستخرج ما يلي:

١ - ما نوع الاستفهام في قول الله تعالى: ﴿ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾؟

.....

٢ - ما جوابُ «لو» في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ حيثُ أن الجواب محذوف لغرض بلاغي؟

.....

الدرس السادس

ترغيب وترهيب

سورة سبأ - الآيات (من ٣٤ - ٣٩)

التمهيد

بيّن الله ﷻ في كثير من الآيات من كتابه العزيز أن معيار ما يتقرب به إليه؛ هو الإيمان والعمل الصالح، فهما سببان لدخول الجنة والنجاة من النار؛ وأن ما سوى ذلك لا وزن له عند الله تعالى إن لم يُحَط بالإيمان والعمل الصالح؛ فلا اعتبار لكثرة مال أو ولد أو جاه عند الناس أو نسب؛ وفي الحديث «من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1].

النص:

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

(١) - رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ٢٠٧٤.

مفردات الآيات

المفردات	المعنى
قال مترفوها	مترفون جمع مترف وهم أهل النعمة والثروة والرياسة.
يبسط الرزق	أي يوسع العطاء.
ويقدر	يضيق.
زلفى	قربى.
جزاء الضعف	أي الثواب المضاعف.
في الغرفات	جمع غرفة والمرادالمنازل العالية في الجنة.
آمنون	من كل بأس وخوف وأذى.
معاجزين	مغالبين.
فهو يخلفه	أي يعطيكم بدله.

الشرح الإجمالي للآيات

تسلية النبي -ﷺ-:

بعد أن بيّن الله تعالى ما يحصل للتابعين والمتبوعين من الكفار يوم القيامة من التخاصم والتلاوم؛ ذكر في هذه الآيات ما يكون تسلية للنبي -ﷺ- فإنك يا محمد لست أول رسول يُكفّر ويكذّب به بل ما أرسلنا من رسول قبلك يدعو إلى توحيد الله وينذر قومه عذاب الله إلا قوبل بالتكذيب والعناد من السادة والرؤساء وتبعهم على ذلك ضعفاؤهم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾.

أوهام الكفار:

ثم ذكر الله تعالى ما يعتقده هؤلاء المترفون بأن كثرة الأمـوال والأولاد دليل محبة الله تعالى لهم وأن ذلك مانع من عذاب الله تعالى عنهم بالدنيا والآخرة بقوله ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ فأمر الله تعالى نبيه -ﷺ- أن يرد عليهم بـقـولـه ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ أي يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ من عباده «ويضيقه، فالله ﷻ يعطي المال من يحب ومن لا يحب؛ وله في ذلك الحكمة البالغة. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سنن الله في خلقه فقال: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ فما كثرة الأموال ولا الأولاد دليل محبة الله لكم أو مما يدخلكم الجنة، فإن الله تعالى لا ينظر إلى الصور ولا إلى الأموال، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال.

فضل العمل الصالح:

ثم بيَّن الله تعالى ما يقرب إليه ويدخل الجنة في قوله﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[1] الإيمان والعمل الصالح هما اللذان يقربان إلى الله. فأهل الإيمان والعمل الصالح ﴿ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ﴾ بالمنازل العالية في الجنة ﴿ ءَامِنُونَ ﴾ من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شر يحذر منه.

حال المعرضين عن الدعوة:

ثم بيَّن الله تعالى حال أولئك المعرضين عن دعوة النبي -ﷺ- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ يجدّون ويجتهدون ويحرصون بكل ما أوتوا على إبطال آيات الله يظنون أنهم ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ مغالبين الله تعالى فيما يسعون فيه . ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ في جهنم يعذبون فيها جزاء ما فعلوه.

---

(١) ويحمل معنى آخر في الآية وهو أن كثرة المال والولد عند من آمن وعمل صالحاً يستعمله في طاعة الله وفي الحديث «نعم المال الصالح للمرء الصالح» رواه أحمد.

أثر الإنفاق في سبيل الله تعالى:

ثم بيّن الله تعالى للمغترين بالأموال والأولاد أنه يوسع الرزق على من يشاء ويضيقه على من يشاء لحكمة يعلمها ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ وحث تعالى على النفقة في سبيله فبيّن أنه مهما أنفقتم من شئ فيما أمركم الله به فهو يبدله في الدنيا وفي الآخرة بالجزاء والثواب فالله تعالى خير من يرزق فأطلوبه الرزق.

من هداية الآيات:

- بيان ما عليه أهل الكفر والعناد من الغرور بكثرة الأولاد والأموال مما يحذر المؤمن مما هم عليه.
- تسلية النبي -ﷺ- وألا يحزن برد هؤلاء المترفين فهي سنة الله تعالى فيهم.
- الإيمان بالله والعمل الصالح سببان عظيمان لدخول الجنة والنجاة من النار.
- لا اعتبار لكثرة مال ولا ولد ولا جاه عند الناس أو نسب إلا بالإيمان والعمل الصالح.
- الترغيب والترهيب، أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.
- من سنة الله تعالى في خلقه أن يغني ويفقر ويعطي ويمنع وله في ذلك الحكمة البالغة.
- فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى.

القيم المستفادة

- الشوق إلى الجنة.
- الخوف من النار.
- شكر النعم.

التقويم

س١ - أجب عما يأتي

أ - بِمَ ردَّ الله تعالى على المترفين بزعمهم أن الله ﷻ يحبهم لكثرة أموالهم وأولادهم؟

.....

ب - ما مناسبة الآيات بما قبلها؟

.....

س٢ - استخرج من الآيات ما يدل على الحقائق التالية

أ - سبب التقرب إلى الله تعالى هو الإيمان والعمل الصالح.

.....

ب - شيء من نعيم أهل الجنة فيها.

.....

جـ - يجتهد أهل الباطل في إبطال آيات الله تعالى.

.....

س٣:

أ - ما القيم المستفادة من هذه الآيات؟

.....

.....

ب – ضع عنواناً آخر لموضوع الآيات

.....

.....

جـ – اذكر بعض ما ترشد إليه الآيات.

.....

.....

الدرس السابع

مواجهة ومجابهة

سورة سبأ - الآيات (من ٤٠ - ٤٥)

التمهيد:

حينما يتجرأ من يتجرأ على الكذب والبهتان فلابد من موقف يقطع دابر الأباطيل ويُعرفُ فيه الكاذبُ من الصادق حتى يميز الله الخبيث من الطيب، وقد تناولت هذه الآيات الكريمة هذا الأسلوب العجيب في كشف كذب المشركين وادعاءاتهم على الملائكة المقربين بأنهم بنات الله، أو أنهم عبدوهم ليقربوهم من الله زلفى. فتفضح الآيات التاليات أمرهم وتظهر كذبهم وتبين سوء مصيرهم، فيقول الحق تبارك وتعالى لنبيه:

النص

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ۚ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
يحشرهم	يجمعهمُ
سبحانك	ننزهك عن الشريك
ولينا	ربنا وإلهنا وسيدنا
بينات	واضحات
يصدكم	يصرفكم ويمنعكم
إفك مفترى	كذب مختلق

الشرح الإجمالي للآيات:

موقف الكفار يوم القيامة:

يخبر الله تعالى إنه سبحانه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق بمواجهة الملائكة بهم حيث إن المشركين زعموا أنهم عبدوا الملائكة في الدنيا ليقربوهم إلى الله زلفى فيوجّه الله ﷻ السؤال إلى الملائكة – وهو سبحانه أعلم بحقيقة الأمور – قائلاً: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾ والاستفهام هنا يفيد التقريع والتوبيخ للمشركين أي هل أنتم أمرتموهم بعبادتكم من دوني فجّيب ﴿ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ أي ننزهك عن الشريك في العبادة فأنت إلهنا وسيدنا وربنا الذي خلقنا ونحن لك عابدون أما هؤلاء فكانوا يعبدون الشياطين أكثرهم بهم مصدقون ومطيعون. و إن كان هذا الفعل من مشركي العرب، فقد تشابهت أمور المشركين في شركهم وكذبهم، فكذلك ادعى عبدة المسيح من قبل أنهم أمروا بعبادة المسيح، فاستعرض الله ﷻ فضيحتهم أيضاً في القيامة حين يسأل

عيسى عليه السلام ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ ﴾[1] فأجاب بالنفي وفوّض الأمر إلى الله في تعذيبهم أو العفو عنهم، ثم سبّح الله ونزهه، ونسب إليه العلم الذي لايعتريه الجهل أبداً بأنه أعلم به وبهم منهم.

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ المقصود باليوم يوم القيامة والنفع هنا: المراد به الشفاعة بالنجاة من النار ودخول الجنة، والضر هو الهلاك والعذاب في جهنم ومادامت هذه هي الحال بين يدي الله تعالى – وكانوا قد أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً – فحق على الله تعالى أن يعذبهم ويدخلهم جهنم فيقول لهم﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ويجوز أن تقول الملائكة هذا القول للمشركين وفي ذلك أيضاً شدة تنكيل وإذلال لهم ﴿ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ التي طالما كذبتم واستكبرتم وما صدقتم بها فهي اليوم مسكنكم البئيس، وهذا يقين لايعتريه شك.

إصرار على الكفر وافتراء بالباطل:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

يخبر الله تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب، لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته واضحات ظاهرة المعاني بلا خفاء ولا التباس وكانوا يسمعونها غضة طرية من لسان رسوله –ﷺ– ورغم ذلك ﴿ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ بمعنى أنهم يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول –ﷺ– عندهم باطل، وازدادوا مع هذا الاعتقاد المزيف فساداً وإمعاناً في الكذب، ولم يقتصروا على تكذيب النبي –ﷺ– وهو مشهور بينهم بالصادق الأمين فتجاوزوا الحد في الافتراء ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ ﴾ يقصدون القرآن ولكن ربما يعقل عاقل وينظر في القرآن فيرى أن له تأثيراً على القلوب فيحركها فيؤمن به.

---

(١) – المائدة (١١٦)

وحتى لايقع أحد في هذا المحظور بالنسبة لهم أكدوا أن القرآن سحر واضح، وبهذا يرد على من ادعى تحريك القرآن للقلب، وأن السحر يفعل الأفاعيل ويلغي منظور العقل فيتوهم السامع ويخشى على نفسه من سماع القرآن أو الاقتراب من قارئيه، كما حدث لبعض من شرح الله ﷻ صدورهم للإسلام وكانوا من قبل يخافون سماعه[1] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾.

ولقد فضح الله المشركين بما قاله في القرآن، لأنهم كيف يكذبونه ويزعمون أنه سحر ولم يبعث فيهم رسول، ولم ينزل عليهم كتاب، ولاصلة لهم في صحرائهم بأهل الكتاب حتى تكون عندهم المعايير والمقاييس التي بها يمكن أن يميزوا بين الصدق والكذب والوحي وغيره، فقال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴾ أي ما أنزل الله ﷻ على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل إليهم نبياً قبل محمد -ﷺ- وقد كانوا يودون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا، فلما منّ الله ﷻ عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه.

﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ أي من الأمم البائدة كعاد وثمود ﴿ وَمَا بَلَغُواْ ﴾ أي ولم يبلغ هؤلاء من القوة ﴿ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾ ما آتيناهم. أي عشر ما كان لأولئك الأقوام الهالكين من القوة وكثرة المال وطول العمر وغير ذلك من النعم ومع ذلك أهلكناهم فكذبوا رسلي ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي كيف كان إنكاري عليهم الشرك وتكذيب رسلي؟ كان بإبادتهم واستئصالهم أما يخاف هؤلاء الضعفاء أن تحل بهم عقوبتنا فنهلكهم عن آخرهم كما أهلكنا من كان قبلهم.

من هداية الآيات:

- براءة الملائكة من عبادة الكفار لهم.
- بيان بطلان عبادة المشركين في الآخرة.

---

(١) – وهو الطفيل ابن عمر الدوسي حينما حذره قومه من سماع القران ولكن حينما سمعه أسلم على الفور وبعثه رسول الله -ﷺ- إلى قبيلته يعلمهم القرآن.

- الإيمان بالبعث والحساب (وذلك من الغيب الواجب الإيمان به).
- مقت المشركين لكفرهم بالرسول -ﷺ- واتهامهم له بالكذب والسحر والجنون.
- قبح المشركين في وصفهم القرآن الكريم بأنه سحر مبين.
- تكذيب الواقع لأحوال المشرك.

القيم المستفادة:

١ - الإيمان بالغيب.

٢ - اتباع الحق.

٣ - الاعتزاز بالإسلام.

التقويم

س١ - أجب عما يأتي

١ - حدد معاني الكلمات التالية:

(يحشرهم - نفعاً - ولي)

.....

.....

.....

٢ - مانوع الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾؟

.....

.....

٣ - ما المقصود بعبادة المشركين للجن؟

.....

.....

س٢ - اكمل ماياتي:

١ - ادعى المشركون عبادة ..... ليقربوهم إلى الله ..... فعذبهم في الآخرة.

٢ - تشابهت حال مشركي العرب بحال المشركين مع ..... إذ زعموا ..... أيضاً.

س٣:

١ – ورد في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ إلى آخر الآية سبب نزول اذكره؟

.....

.....

٢ – اختر الجواب الصحيح:

– قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ يقصد به (يوم بدر – يوم الجمعة – يوم القيامة).

.....

– المشركون جعلوا بين الجن وربهم (عهداً – نسباً – وعداً).

.....

٣ – اكتب ثلاثاً من هداية الآيات.

.....

.....

س٤:

١ – يستحق المشركون عذاب الله وعقابه لهم لأنهم كذبوا بآيات الله تعالى بعد أن ظهرت لهم جلية – أين هذا المعنى من الآيات التي معنا.

.....

.....

.....

٢ – استخرج قيمة من الآيات السابقة غير التي ضمنها الشرح ثم بيّن مظاهرها السلوكية على النفس.

.....

.....

٣ – هات مرادف الكلمات التالية:

أ – إفك. .....

ب – تتلى. .....

جـ – بينات. .....

الدرس الثامن

الأجر على الله تعالى

سورة سبأ - الآيات (من ٤٦ - ٥٤)

تمهيد:

إن الداعية المخلص إلى الله تعالى في دعوته لايسأل عليها أجراً إنما أجره على الله تعالى، لأنه سبحانه هو الذي يملك مكافأة الدعاة على أقوالهم وأفعالهم، وإنهم لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكوراً، بل كل همهم ربط الناس بخالقهم سبحانه، وهذه الآيات توضح هذا المعنى العظيم.

النص:

قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

مفردات الآيات

المفردات	المعنى
سألتكم	طلبت منكم.
أجر	أجرة على ماجئتكم به.
فوت	نجاة أو مهرب.
التناوش	التناول.
ويقذفون بالغيب	يرمون بالباطل والقذف: الرمي بالسهم والحصى والكلام.
حيل بينهم	حال وحجز عنهم.
أشياعهم	أشباههم ونظائرهم.
شك مريب	كلمة مريب تأكيد على معنى الشك.

الشرح الإجمالي للآيات:

دعوة للتفكر:

لقد دعا الله ﷻ الكفار إلى التفكر في شخصية الرسول -ﷺ- هل يستحق أن يكذبوه أم يصدقوه؟ أو أن يحاربوه أو يناصروه؟ وترك لهم إصدار الحكم القائم على التجرد من الهوى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾. أي أذكركم بواحدة وقد اختلف المفسرون في المراد بواحدة أي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام ، تقتضي نفي الشرك وإثبات الوحدانية، قال مجاهد: هي لا إله إلا الله وعنه أنها طاعة الله ، وقيل: أعظكم بالقرآن لأنه يجمع كل المواعظ، وقيل: تقديره: أعظكم بخصلة واحدة،والمعنى المراد: أي أحذركم وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه بأن أوصيكم بخصلة واحدة وهي:﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾، أي: هي قيامكم في طلب الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين أو واحداً واحداً، لأن الاجتماع يشّوش الفكر، ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ وينصح بعضكم بعضاً بإخلاص وتنظروا في حقيقة أمر النبي -ﷺ- وما

جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أنه ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾ لا هو مسحور،ولا مجنون، فليس من أحواله ولا تصرفاته ما يدل على أنه كذلك، وما جاء به من الوحي دلائل الصدق عليه ظاهرة.

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾ ما هو إلا مخوف لكم ونذير من عذاب جهنم قبل ان تقاسوا حرها.

الرسول -ﷺ- هو النذير:

قوله تعالى ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾ ، في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ (الشعراء٢١٤) ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله -ﷺ- حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه؟ فقالوا من هذا الذي يهتف؟ قالوا محمد؛ فاجتمعوا إليه فقال: «يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ»؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». قال فقال أبو لهب: تبّاً لك! أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قال فنزلت هذه السورة﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ (المسد١)[1]

الحقيقة في صورة موحية:

﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ ﴾ أي خذوا أنتم الأجر الذي طلبته منكم! وهو أسلوب فيه تهكم. وفيه توجيه. وفيه تنبيه ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ ﴾.وهذا شأن الدعاة دائماً لايطلبون الأجر إلا من الله، ولا يتنافى ذلك مع ما يتقاضاه أهل العلم من رواتب على دعوتهم، وعلمهم ماداموا يقومون بدعوتهم دون نفاق أو رياء، وهو سبحانه يشهد على كل شيء فلا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ﷻ محيط علماً بكل شيء، وفي هذا استشعار بمراقبة الله تعالى فما ينبغي لأحد من الناس أن يكذب على الله فمن باب أولى ألا يكذب المرسلين.

﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ قل يامحمد إن ربي يقذف بالحق.

- قال مقاتل: يتكلم بالحق وهو القرآن والوحي: أي يلقيه إلى أنبيائه.

---

(١) - فتح الباري: ٤٠٠/٨

- وقال قتادة «بالحق» أي بالوحي، والمعنىأنه يبيّن الحجة ويظهرها للناس على ألسن رسله.

- وقيل يرمي الباطل بالحق فيدمغه.

﴿ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ قرأ الجمهور برفع «علام» على أنه خبر ثان لإن، أوخبر مبتدأ محذوف، وقرأ زيد بن علي وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق بالنصب نعتاً لاسم إن، أو بدلاً منه، وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث في الغين، وهو جمع غيب، والغيب هو الأمر الذي غاب وخفي جداً.

﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي الإسلام، وقيل القرآن، أو جاء صاحب الحق الذي معه الحجج والبراهين أي مادام قد جاء الحق فلا مجال للباطل ولهذا قال﴿ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ و ﴿ مَا ﴾ في قوله ﴿ وَمَا يُبْدِئُ ﴾ نافية هنا لأنه لا يمكن للباطل أن يبدئ شيئاً أو يعيده، فليس له قدرة على شيء يفعله.

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ ﴾ عن الطريق الحق الواضح ﴿ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ ﴾ أي إثم ضلالتي يكون على نفسي، وذلك أن الكفار قالوا له :تركت دين آبائك فضللت، فأمره الله أن يقول لهم هذا القول ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ ﴾ من الحكمة والموعظة والبيان بالقرآن ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ مني ومنكم يعلم الهدى والضلالة.

ثم ذكر سبحانه حالاً من أحوال الكفار فقال ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾ والخطاب لرسول الله -ﷺ- ، أو لكل من يصلح له الخطاب ، وفي تفسير ﴿ فَزِعُوا۟ ﴾ أقوال عديدة منها:

- قيل المراد فزعهم عند نزول الموت بهم.

- وقال الحسن: هو فزعهم في القبور من الصيحة.

- وقال قتادة: هو فزعهم إذا خرجوا من قبورهم.

- وقال ابن مغفل: هو فزعهم إذا عاينوا عقاب الله يوم القيامة.

- وقال سعيد بن جبير: هو الخسف الذي يخسف بهم في البيداء، فيبقى رجل منهم فيخبر الناس بما لقي أصحابه فيفزعون.

وجواب «لو» محذوف: أي لرأيت أمراً هائلاً، ومعنى ﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ فلا يفوتني أحد منهم ولا ينجو منهم ناج. قال مجاهد: فلا مهرب ﴿ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ من ظهر الأرض أو من القبور أو من موقف الحساب وقيل من حيث كانوا، فهم لا يبعدون عن الله ولا يفوتونه. قيل: ويجوز أن يكون هذا الفزع هو الفزع الذي بمعنى الإجابة، يقال فزع الرجل: إذا أجاب الصارخ الذي يستغيث بهم كفزعهم إلى الحرب يوم بدر.

كذب وافتراء:

﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ أي بمحمد -ﷺ- قاله قتادة، أو بالقرآن. وقال مجاهد: بالله ﷻ. وقال الحسن: بالبعث ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ﴾، وهو تفاعل من التناوش الذي هو التناول والمعنى كيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بعيد، يعني في الآخرة وقد تركوه في الدنيا، وهو معنى ﴿ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ وهو تمثيل لحالهم في طلب الخلاص بعد ما فات عنهم - ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ في محل نصب على الحال: أي والحال أن قد كفروا بما آمنوا به الآن من قبل هذا الوقت، وذلك حال كونهم في الدنيا ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي يرمون بالظن فيقولون: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ﴿ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ أي من جهة بعيدة ليس فيها مستند لظنهم الباطل. وقيل المعنى يقولون في القرآن أقوالاً باطلة: إنه سحر وشعر وأساطير الأولين. وقيل يقولون في محمد -ﷺ- إنه ساحر شاعر كاهن مجنون.

عظة وعبرة:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ من النجاة من العذاب ومنعوا من ذلك، وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من أموالهم وأهليهم، أو حيل بينهم وبين ما يشتهونه من الرجوع إلى الدنيا ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ أي بأمثالهم ونظائرهم من كفار الأمم الماضية، والأشياع جمع شيع، وشيع جمع شيعة، وجملة ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ تعليل لما قبلها: أي في شك موقع في الريبة أو ذي ريبة من أمر الرسل والبعث والجنة والنار، أو في التوحيد وما جاءتهم به الرسل من الدين، يقال: أراب الرجل إذا صار ذا ريبة فهو مريب، وقيل هو من الريب الذي هو الشك، فهو كما يقال عجب عجيب وشعر شاعر. وبهذا يختم تفسير سورة سبأ بما فيها من العبر والعظات عسى الله أن ينفع بما ورد فيها من تفسير إنه نعم المولى ونعم المجيب.

من هداية الآيات

١ – ترفّع الدعاة إلى الله عن الأجر على دعوتهم إلى الله تعالى.

٢ – صدق نبوءة النبي –ﷺ– في القرآن الكريم في قوله: ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ وهاهو الإسلام قد انتشر في أرض العرب حينئذ.

٣ – الشك في موعود الله ووعيده ضرب من ضروب الكفر بالله تعالى.

القيم المستفادة:

١ – الإخلاص.

٢ – مراقبة النفس.

٣ – نصرة النبي –ﷺ–.

التقويم

س١ - أجب عما يأتي:

١ - ما واجب الدعاة المخلصين نحو دعوتهم إلى الله تعالى؟

.....

.....

٢ – ما صلة الآيات بما قبلها – وضح هذا الربط بينهما؟

.....

.....

س٢ - استخرج من الآيات مايقابل المعاني التالية في كل جملة مما يأتي:

١ – إن الله سبحانه يلقي بالحق وهو سبحانه عالم الغيب ولا شيء يغيب عنه أبداً.

.....

.....

٢ – الدعوة إلى الضلال لاترجع إلا على صاحبها فهو وحده المتحمل لوزرها، والموفق في دعوته من وفقه الله تعالى.

.....

.....

٣ – تأتي ساعة على الإنسان يتمنى فيها مايشتهي وقد كان بإمكانه الحصول عليه بسهولة ولكن لاسبيل إلى تحصيل مايريد.

.....

.....

س٣:

١ – هات معاني الكلمات التي تحتها خط في الآيات.

.....

.....

٢ – ماالأسلوب الذي يحمله قوله تعالى ﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ ﴾؟

.....

.....

الدرس التاسع

حمد الله تعالى والثناء عليه

سورة فاطر – الآيات (من ١ – ٩)

التمهيد:

هذه السورة آياتها مكية ذات نسق خاص في موضوعاتها وسياقها، ومن آيات السور التي تبدأ بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، تتوالى إيقاعاتها على القلب البشري من بدئها إلى نهايتها. وهي إيقاعات موحية مؤثرة تهز القلب هزاً وتهتف بالقلب للإيمان والخشوع و الإذعان. وتوقظه من غفلته ليتأمل عظمة هذا الوجود. وروعة هذا الكون وليتدبر وليتذكر آيات الله ويشعر برحمته ورعايته، وليتصور مصارع الغابرين في الأرض، ومشاهد يوم القيامة، ووحدة اليد الصانعة والمبدعة.

النص

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ
فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ
وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾

مفردات الآيات

المفردات	المعنى
فاطر	مبدع على غير مثال سابق.
ما يفتح الله	ما يرسل الله.
إله	الله ﷻ، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إلَه عند متخذه، وأَصله من أَلِهَ يَأْلَهُ إذا تَحَيَّر.
فأنى تؤفكون	فكيف تصرفون عن توحيده
فلا تغرنكم	فلا تخدعنكم
الغرور	الشيطان يخدع الناس بالوعد الكاذب، وقيل الغرور الأباطيل، وقيل يريد به زينة الأشياء في الدنيا.
حزبه	شيعته وأولياؤه ومن أطاعه
السعير	وسَعَرَ النار يسعرها سَعْراً وأسعرها وسَعَّرَهُا: أَوقدها وهَيَّجَهُا، ويقصد بها النار.
حسرات	شدة الحزن
فتثير سحاباً	تحركه وتهيجه
النشور	البعث

الشرح الإجمالي للآيات:

الله تعالى أحق المعبودات بالثناء

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

يمدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدسة على خلقه السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه، ويتجلى في الآية السابقة الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فهو خالق السماوات والأرض ومبدعهما[١]، جاعل الملائكة رسلاً إلى مَن يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه، وهذا دليل على كمال طاعتهم لربهم وانقيادهم له كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم٦).

ومِن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها، ومنهم مَنْ له أكثر من ذلك، كما جاء في الحديث: أن رسول الله -ﷺ- رأى جبريل ليلة الإسراء وله ستمائة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب[٢]؛ ولهذا قال: ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات ولذة النغمات كل بقدر ما يكلف به الملك من أعمال.﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ إن الله تعالى قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده ﷻ ولا يستعصى عليه شيء.

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

ما يفتح الله للناس من مفاتيح الخير من رزق ومطر وصحة وعلم ويرسل لهم من النعم ومن خير فلا مُغلق له، ولا ممسك عنهم، لأن ذلك أمره وحده سبحانه، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم أحد، فلا فاتح له سواه؛ لأن الأمور كلها إليه وله.فيخبر الله تعالى أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري، -رضي الله عنه-، كان رسول الله -ﷺ- إذا رفع رأسه من الركوع قال: «ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد: اللهم ! لا مانع لما أعطيت،

(١) – قال ابن عباس رضي اللّه عنهما: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها أي ابتدأتها، وقال ابن عباس﴿ فاطر السماوات والأرض ﴾أي بديع السماوات.

(٢) – أخرجه الإمام أحمد وحسّنه الألباني في الصحيح ٧/١٤١٥.

ولا معطي لما منعت. ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[1]، ومثال على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (يونس١٠٧).

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وهو العزيز في نِقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته، الحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة إذ كان فتح ذلك لهم صلاحًا ورحمة، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه عنهم حكمة.

نعم الله لا تعد ولا تحصى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده وإفراده في العبادة، كما أنه المتفرد بالخلق والرزق فكذلك فَليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان؛ ولهذا قال مخاطباً للمشركين به من قوم رسول الله -ﷺ- من قريش ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ التي أنعمها ﴿ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ بفتحه لكم من خيراته ما فتح، وبسطه لكم من العيش ما بسط، وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغاليقها ﴿ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ فتعبدونه من دونه؟! ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ أي لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض القادر على كل شيء، الذي بيده مفاتح الأشياء وخزائنها، ومغاليق ذلك كله، ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ فأي وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرَفون بعد هذا البيان.

تكذيب الرسل سنة كونية

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾

يقول الله تعالى لنبيه محمد -ﷺ- مسلياً ومعزياً: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون

---

(١) – وقال الإمام مالك: كان أبو هريرة إذا مُطِروا يقول: مُطِرنا بنَوْء الفتح، ثم يقرأ هذه الآية ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾. ورواه ابن أبي حاتم، عن يونس عن ابن وهب، عنه. الموطأ (١٩٢/١). مسلم (٤٧٧/٤٠) وكتاب الصلاة.

بالله من قومك ويخالفوك فيما جئتهم به من التوحيد فلا يحزننك ذاك، ولا يعظم عليك، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله من قبلهم، وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك فإنهم كذلك جاؤوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم، فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم ويسلكوا سبيلهم، فليكن لك فيمن سلف قبلك، من الرسل أسوة ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ أي وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم، فمُحِل بهم العقوبة، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك والإقرار بنبوتك، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾

يقول الله تعالى لمشركي قريش المكذبين رسول الله -ﷺ-: يا أيها الناس إن وعد الله بكم بالبعث ومعاقبتكم على إصراركم الكفر به، وتكذيب رسوله محمد -ﷺ-، وتحذيركم نـزول سطوته بكم على ذلك، حق لا مرية فيه، فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا عن اتباع محمد -ﷺ- والإيمان بما جاء به ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾، أي ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنيكم الأماني، ويعدكم من الله الوعود الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله.قاله ابن عباس -رضي الله عنه-، أي: «لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرَّار كذاب أفاك»[1].

الشيطان ألد أعداء الإنسان

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾

ثم بيّن تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾ أي هو مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به، ﴿ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ أي إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه، والاقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. (وقال بعض العلماء: وتحت

---

(١) - الطبري (٢٠/٤٣٨)

هذا الخطاب نوع لطيف من العتاب كأنه يقول: إنما عاديت إبليس من أجل أبيكم ومن أجلكم، فكيف يحسن بكم أن توالوه؟ بل اللائق بكم أن تعادوه وتخالفوه ولا تطاوعوه). وهذه كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الكهف ٥٠).

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾

لما ذكر الله تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى عذاب السعير، ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد في الآخرة؛ لأنهم أطاعوا الشيطان وعَصَوا الرحمن، وأن الذين آمنوا بالله ورسله ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ والذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ أي لما كان منهم من ذنب، ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ على ما عملوه من خير وذلك الجنة.

الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾

ثم قال ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ يعني: كالكفار والفجار، يعملون أعمالاً سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسون أنهم يحسنون صنعاً، أي: أفمن كان هكذا قد أضله الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه، ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ قال ابن عباس -رضي الله عنه- أنها نـزلت في أبي جهل ومشركي مكة. وقال سعيد بن جبير أنها نـزلت في أصحاب الأهواء والبدع.وقد يقع الكثير من الناس بهذا الأمر جهلاً منهم، مثال على ذلك أن يأخذ الموظف رشوة ويعتقد أنها هدية أو يسمي الربا بالفائدة وما إلى ذلك، فلا بد للمؤمن أن يتحرى لدينه حتى لا يقع فيما حرم الله تعالى.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ أي فإن الله يخذل من يشاء من عباده عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ويهدي من يشاء، أي ويوفق من يشاء من عباده للإيمان به واتباعك والقبول منك، فيهديه إلى سبيل الرشاد ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ أي لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره فلا تغتم بكفرهم وهلاكهم إن

لم يؤمنوا. إنما يضل من يضل ويهتدي من يهتدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة، والعلم التام؛ ولهذا قال﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو محصيه عليهم، ومجازيهم به جزاءهم.

عقيدة البعث والنشور

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾

كثيراً ما يدلّل الله تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها -كما في أول سورة الحج - ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب محملاً بالماء وأنـزله عليها إهْصبت بعد جدوبها، وأنبت فيها الزرع بعد الجدب ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ﴾ (الحج٥)، كذلك الأجساد، إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشورها، أنـزل من تحت العرش مطراً يعم الأرض جميعاً فتنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض؛ كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-«... ما بين النفختين أربعون. قالوا: يا أبا هريرة! أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى. إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب»[1]. ومنه يركب الخلق يوم القيامة» ولهذا قال تعالى﴿ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ هكذا يُنْشِر الله الموتى بعد بلائهم في قبورهم، فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها.

من هداية الآيات:

- استحقاق الله تعالى الحمد لكمال قدرته وسعة ملكه.
- ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
- من سنن الله في كونه مجازاة الكاذبين، ونصرة المرسلين وأتباعهم.
- وعد الله حق لا شك فيه.
- الدنيا أرض فناء وزوال والمؤمن الكيّس لا يغتر بها.

(١) - رواه البخاري في كتاب التفسير ٤٨١٤، ورواه مسلم في كتاب الفتن - باب: ما بين النفختين ٢٩٥٥.

- الشيطان عدو للإنسان فلا يهمل المؤمن عداوته ولا يفتر عن محاربته.
- عقيدة البعث والنشور من أصول الإيمان.
- تسلية النبي -ﷺ- نبهيه عن التحر على قمه فليس عليه هواهم.

القيم المستفادة:

- تعظيم الله تعالى.
- الإيمان بقضاء الله وقدره.
- الإيمان بالبعث.

التقويم

س١ - أكمل العبارات التالية بما يناسبها ويكمل معناها:

١ - اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الملائكة رسلاً لـ .....

٢ - كان الرسول -ﷺ- إذا رفع رأسه من الركوع يقول«.....».

.....

٣ - قال الله تعالى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾، أي: فكيف .....
بعد هذا ..... ووضوح هذا .....

س٢ - علل ما يأتي:

١ - إخبار الله تعالى عباده بمظاهر قدرته.

.....

٢ - خلق الله الملائكة متفاوتين في القدرة.

.....

٣ - يذّكر الله عباده بأنعامه وأفضاله عليهم.

.....

٤ - عداوة الشيطان للإنسان.

.....

س٣ - أجب عن الآتي

١ - قد يفعل المرء عملاً يظن أنه يوافق الشرع، ولكنه خلاف ذلك... كيف تعالج هذه القضية.

.....

.....

٢ - اكتب سبب نزول قوله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾.

.....

.....

الدرس العاشر

مظاهر قدرة الله تعالى

سورة فاطر – الآيات (من ١٠ – ١٤)

التمهيد:

العزة بيد الله ﷻ وحده ولا ينالها العبد إلا بطاعة الله تعالى والتقرب إليه بالعمل الصالح، فيا من كره الذلة وأراد العزة اطلبها ممن هي بيده واسأل الله بإخلاص وأكثر من التسبيح والتحميد والتهليل، فمحال أن ينال عبد عزة، وقد أسخط الله وأسرف على نفسه بالمعاصي والذنوب فإن شؤمها كبير، وأثرها عليه عظيم، فإنها لا تزيد العبد إلا هواناً و ذلة.

النص:

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا
تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا
طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟
دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
العزة	القوة والمنعة.
يمكرون السيئات	يكسبون ويعملون السيئات.
مكر	احتيال في خفية و خديعة.
يبور	يبطل ويذهب نفعه ويهلك.
نطفة	ماء الرجل.
فرات	شديد العذوبة.
سائغ	شربه لا يكلف النفس كراهة، استطاعة ابتلاع مشروب دون غصة.
أجاج	شديد الملوحة.
مواخر	تجري «جرت تشق الماء مع صوت».
قطمير	القشرة الرقيقة التي على النواة.

الشرح الإجمالي للآيات:

أثر الكلم الطيب:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾

بعد أن كانت الآيات التي قبل هذه الآية، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيده لهم عليها، جاءت هذه الآية لتكون من جنس الحث على فراق ذلك وكانت في سياقها، فقال تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ يقول: من كان يريد العزة فَإِنَّ الْعِزَّةَ بيد الله فليطلبها من الله ولا تُنال إلا بطاعته. وقوله ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ يقول تعالى: إلى الله يصعد

ذكر العبد إياه وثناؤه عليه. ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح الخالص – وقد قال أبو ذر الغفاري –رضي الله عنه– عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– «لا أجر إلا عن حسبة، و لا عمل إلا بنية»[1]، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه والانتهاء إلى ما أمر به. فعن ابن عباس قوله ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ الكلم الطيب هو ذكر الله تعالى والتسبيح والتهليل والتلاوة والدعاء، يصعد به إلى الله عز وجل:، والعمل الصالح هو أداء فرائضه بإخلاص. ومَنْ ذكر الله ولم يؤد فرائضه، رد كلامه على عمله، فكان أولى به. وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي الشرك، وقيل الذين يكسبون السيئات، فلهم عذاب جهنم، وقال مجاهد: «هم المراؤون بأعمالهم الذين يوهمون الناس بأنهم في طاعة وهم بغضاء إلى الله». وقوله تعالى ﴿ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ أي يفسد ويبطل ويهلك فلا ينتفعون به، كما يظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهى، لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله، فإنه ما أسر عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية.

أصل الخلق:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

وقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أي ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أي ذكراً وأنثى، لطفاً منه ورحمة أن جعل لكم أزواجاً من جنسكم، لتسكنوا إليها.وقوله:﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ أي وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة، إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها وما هو؟ ذكر أم أنثى؟ فهو عليم به لا يخفى عليه شيء من ذلك. وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾، يقول: ليس أحد قُضِيَتْ له طول عُمُر وحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزاد عليه، وليس أحد قَضَيْتُ له أنه قصير العمر والحياة ببالغ للعمر،

---

(١) – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٤١٥.

ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ﴾، يقول: كل ذلك في كتاب عنده أي في اللوح المحفوظ كما جاء في صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري يقول إني سمعت رسول الله -ﷺ- يقول «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها. ثم قال: يا رب! أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء. ويكتب الملك. ثم يقول: يا رب! أجله. فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك. ثم يقول: يارب! رزقه. فيقضي ربك ما شاء. ويكتب الملك. ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده. فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص»[1]. ألا ترى الناس، يعيش الإنسان مائة سنة، وآخر يموت حين يولد، فالله تعالى لم يخلق الناس على عمر واحد. ومن أسباب إطالة العمر وزيادته عن أنس بن مالك، -رضي الله عنه- سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه»[2].

وقوله ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ أي إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل، طويل ذلك وقصيره، لا يتعذر عليه شيء منه.

مظاهر قدرة الله تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

يقول تعالى منبهاً على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة وما يعتدل البحران فيستويان؛ أحدهما عذب فرات وهي الأنهار السارحة بين الناس، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري والقفار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك، وهذا ملح أجاج، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن، وإنما تكون مالحة زُعَاقًا مُرَّة.وقوله ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ يقول: ومن كل البحار تأكلون لحمًا طريًّا، وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج ﴿ وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ كما قال تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ﴾

---

(١) – أصله في البخاري في كتاب: بدء الخلق ٣٢٠٨، ومسلم في كتاب القدر ٢٦٤٣.

(٢) – رواه البخاري في كتاب: البيوع ٢٠٦٧، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب ٢٥٥٧.

(الرحمن٢٢، ٢٣). يعني: الـدر والمرجان تستخرجونها زينة لكم.﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ وتـرى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر وتشق الماء بصدورها، وقوله ﴿ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم، ولتتصرفوا فيها في تجارتكم من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، فتحمل السائرين وأثقالهم وتجاراتهم، فيحصل بذلك من فضل اللّه تعالى وإحسانه شيء كثير، ولذا قال: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيء منه، وقد رزقكم منه طيبات الرزق وفاخر الحلي، بل بقدرته قد سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾

وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه، ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان. ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم؛ لتعلموا عدد السنين والحساب فالنجوم السيارات، والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن، تقديراً من عزيز عليم. ﴿ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ فهما يسيران في فلكهما ما شاء الله أن يسيران فإذا جاء الأجل وقرب انقضاء الدنيا انقطع سيرهما بأمر الله. أي إلى يوم القيامة. ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ أي الذي فعل هذا هو الرب العظيم، الذي لا إله غيره، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾أي من الأنداد والأصنام التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ قال ابن عباس«القطمير: هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة»، أي لا يملكون من السموات والأرض شيئًا لا قليلاً ولا كثيراً، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء عند الناس.

أدلة عجز الآلهة:

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾.

يخاطب الله تعالى المشركين عبدة الأوثـان وغيرها من المعبودات فيقول لهم ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ أي أن تدعو أصنامكم وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله ﴿ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الأحقاف ٥ – ٦).

﴿ وَلَوْ سَمِعُوا۟ ﴾ ولوسمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم قولكم على وجه الفرض والتقدير ﴿ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ لأنهم لا يملكون شيئاً، و لا يقدرون على ما تطلبون منها، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ أي يتبرؤون منكم، ويقولون: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (سبأ ٤١) ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (يـونـس ٢٨) فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتدعون عبادة الواحد الأحد الذي بيده نفعكم وضركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم.

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ أي لا أحد ينبئك ويخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه، أصدق من الله العليم الخبير، فاجزم بأن هذا الأمر، الذي نبأ به كأنه رَأْيُ عين، فلا تشك فيه ولا تمتر. فتضمنت هذه الآيات، الأدلة والبراهين الساطعة، الدالة على أنه تعالى المعبود، الذي لا يستحق شيئاً من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده شيئاً.

من هداية الآيات:

- إن العزة بيد اللّه ﷻ، ولا تنال إلا بطاعته .
- كل كلام حسن طيب، يرفع إلى اللّه ﷻ ويعرض عليه ويثني اللّه ﷻ على صاحبه في الملأ الأعلى.
- صاحب السيئات يريد الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة وذلاً.
- خلق الله تعالى الآدمي في أطوار من تراب إلى نطفة وما بعدها.
- خلق الله ﷻ الآدمي أزواجاً يتزوج الذكر بالأنثى فينتجوا الذرية.
- ما تحمل الأنثى في بطنها، من أمور الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها.
- أعمار البشر بين يدي الله تعالى فإن طال أو قصر أثبته الله تعالى في اللوح المحفوظ.
- إخبار الله ﷻ عن قدرته وحكمته ورحمته، أنه جعل البحرين عذب ومالح و لم يسوِّ بينهما.
- تسخير الله الشمس والقمر، الضياء والنور، والحركة والسكون، لانتشار العباد و طلبهم من فضله.
- الأوثان والأصنام لا يملكون شيئاً، لا قليلاً ولا كثيراً، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء.
- تبرؤ الشركاء من عابديهم يوم القيامة.

القيم المستفادة:

- طاعة الله ﷻ.
- التأمل.
- توحيد الله ﷻ.

التقويم

س١ – ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، أو علامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي

١ – أعمار البشر بيد الله ﷻ ويستطيع العبد أن يزيد في أجله بصلته لرحمه ( )

٢ – يستوي البحر المالح والبحر الحلو فكلاهما من مخلوقات الله ﷻ. ( )

٣ – القطمير هو الذهب والفضة. ( )

٤ – الآلهة التي تعبد من دون الله ﷻ تتبرأ من عابديها يوم القيامة. ( )

س٢ – أجب عن الآتي:

- للكلم الطيب عدة آثار اذكرها.

.....

.....

- ما عاقبة المكر السيئ؟

.....

.....

- بيْن الله تعالى علة فساد عقيدة الشرك... اذكرها.

.....

.....

س٣ – هات من السنة ما يدل على قوله تعالى ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾.

.....

الدرس الحادي عشر

فقر العباد إلى ربهم وغناه عنهم

سورة فاطر – الآيات (من ١٥ – ٢٣)

التمهيد:

الله تعالى هو الغني عن عباده وعن سائر خلقه، هو المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره، فكل الخلائق تحمده لحاجتها إليه وغناه عنها، و إن عبادة الناس لربهم تعود عليهم فيسعدون بها في دنياهم وآخرتهم، أما الله ﷻ فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية فأنتم أيها الناس أولو الحاجة والفقر إلى ربكم، فإياه فاعبدوا، وإلى رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتُقضى لديه حوائجكم ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ﴾ عن عبادتكم إياه، وعن غير ذلك من الأشياء وإن كلّ نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد وله الشكر بكلّ حال.

النص :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ
ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى
ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
الغني	الغني عنكم أيها الناس وعن سائر خلقه.
الحميد	المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره.
بعزيز	ذو العزة وهي الغلبة والقوة والمنعة.
وزر	ذنب.
لا يحمل منه شيء	لا تجد من يحمل عنها.
تزكى	طهّر نفسه من الشرك والمعاصي.
يتزكى لنفسه	صلاحه واستقامته عائدة عليه.
وما يستوي	لا يستوي أي مختلفاً وبينهما فرق كبير.
الظل ولا الحرور	الظل: ضوء الشمس إذا استترت عنه بحاجز. الحرور: الريح الحارة «السموم»
إن أنت إلا نذير	ما أنت إلا منذر.

الشرح الإجمالي للآيات:

الله تعالى هو الغني

يخبر الله تعالى بغناه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه وتذللها بين يديه، فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ أي هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم وليس بحاجتهم ولهذا قال عز وجل:﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ أي هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشرعه.

وقوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ أي لو شاء، لأذهبكم أيها الناس، وأتى

بقوم غيركم يطيعونه ويعبدونه وحده وفي هذا تهديد لهم بالهلاك وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع، ولهذا قال تعالى﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾.

من مظاهر العدالة يوم القيامة:

قوله تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ هذا مظهر عدالته تعالى يوم القيامة ، فهو مع قدرته وقهره لعباده ذو عدل فيهم ، فلا يؤاخذ بغير جرم ولا يحمل ذنب نفس نفساً أخرى لم تذنب بل كل نفس تؤخذ بذنبها ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ أي وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه ﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ أي وإن كان قريباً إليها، حتى ولو كان أباها أو ابنها، كل مشغول بنفسه وحاله. قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ الجار يتعلق بجاره يوم القيامة، فيقول: يا رب سَلْ هذا لم كان يغلق بابه دوني؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة، فيقول له: يا مؤمن إن لي عندك يداً، قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا، وقد احتجت إليك اليوم، فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله، وهو في النار، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيراً، فيقول له: يا بني إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول له ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثلما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة أو يا هذه أي زوج كنت لك؟ فتثني خيراً، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تهبينها لي، لعلي أنجو بها مما ترين، قال: فتقول: ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً، إني أتخوف مثل الذي تتخوف، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ الآية، ويقول تبارك وتعالى:﴿ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ (لقمان٣٣) ويقول تعالى﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (عبس٣٤ – ٣٧) رواه ابن أبي حاتم.

ثم قال تبارك وتعالى:﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي إنما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنُّهى، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾ أي ومن عمل صالحاً، فإنما يعود نفعه على نفسه ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي: وإليه المرجع والمآب، وهو سريع الحساب، وسيجزي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

يقول تعالى: كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة؛ كالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق كثير، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات، وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (الأنعام١٢٢) وقال عز وجل:﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ﴾ (هود٢٤) فالمؤمن بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة، حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة ، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم، وظل من يحموم، لا بارد ولا كريم. وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ ﴾ أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها. ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة، لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ أي إنما عليك البلاغ والإنذار، والله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ ﴾ أي بشيراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين، ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ أي وما من أمة خلت من بني آدم، إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر، وأزاح عنهم العلل؛ كما قال تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد:٧] وكما قال تعالى ﴿ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (النحل٣٦) والآيات في هذا كثيرة.

من هداية الآيات:

- الله ﷻ غني عن عباده وعن سائر خلقه.
- لا يصعب على الله تعالى ولا يمتنع أن يأتي بخلق غير الخلق.
- الكل يوم القيامة يحمل وزره ، ولا يستطيع أن يحمل عنه غيره إن كان قريباً إليه، حتى ولو كان أباه أو ابنه فكل مشغول بنفسه وحاله.

- إنما يتعظ بما جاء به الرسول -ﷺ- أولو البصائر والنُّهى، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به.
- الله تعالى قادر على أن يهدي عباده إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها.

القيم المستفادة:

- تعظيم الله تعالى .
- عدل الله ﷻ بين عباده.
- حب الرسول -ﷺ-.

التقويم

س١ - بيّن مدى حاجة الناس إلى الله ﷻ وغناه عنهم.

.....

.....

س٢ - قال تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾.

- استنبط الصفة الإلهية الواردة بالآية السابقة.

.....

.....

س٣ - ذكر في الآيات عدم استواء الأضداد بين ذلك من خلال فهمك للدرس ،وما الحكمة من ذكرها ؟

.....

.....

س٤ - صحّح العبارات التالية :

- يتعاون الناس فيما بينهم في حمل الذنوب يوم القيامة.

.....

- يتعظ بما جاء به النبي -ﷺ- كل مسلم.

.....

- سنة الله تعالى في الكون بعث الأنبياء لبعض الأمم.

.....

س٥ - ناقش مع زملائك بالفصل المراد من قوله تعالى ﴿ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ ثم دوّن ما استفدته في كراستك.

.....

.....

س٦ - كثيراً ما يذكر الله تعالى يوم القيامة وأهواله ، فلماذا ؟

.....

س٧ - ضع كلمة مناسبة لمعنى كل جملة فيما يلي:

- طهر نفسه من الشر والمعاصي .....
- المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره .....

الدرس الثاني عشر

تكذيب الكافرين بالكتاب المبين

سورة فاطر - الآيات (من ٢٤ - ٢٨)

التمهيد:

يقرر الله تعالى في هذه الآيات نبوة رسوله -ﷺ- وأنه يجب على أمته اتباعه وإلا هلكوا كما هلك الذين من قبلهم حين عصوا رسلهم، ثم بينت الآيات الكريمة القدرة الإلهية وعظيم الصنع في الكون وأكدت أن العلم هو سبيل الخشية من الله تعالى.

النص:

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
بالحق	بالدين الحق والهدى والكتاب.
إن من أمة	ما من أمة فيما مضى.
إلا خلا	إلا سلف فيها نبي ينذرها.
البينات	المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات.
الزبر	الكتب.
الكتاب المبين	الواضح البين.
فكيف كان نكير	فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة.
أنزل من السماء ماء	المطر.
جدد	طرق.
غرابيب سود	الجبال الطوال السود.
عزيز	ذو العزة وهي الغلبة والقوة والمنعة.

الشرح الإجمالي للآيات

نبوة محمد -ﷺ-:

يقول الله تعالى لنبيه محمد -ﷺ- ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده ﴿ بَشِيرٗا ﴾ مبشراً من آمن بك واتبعك بالجنة ﴿ وَنَذِيرٗاۚ ﴾ منذراً من كذبك وكفر بما جئت به بالنار، ففي هذه الآية يقرر الله تعالى نبوة رسوله محمد -ﷺ- ويخبرنا أنه ليس هو الرسول الوحيد الذي أرسل في أمة بل إنه ما من أمة إلا مضى فيها نذير ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ فلم يكن إرساله لكفار قريش عجباً بل هذه سنة الله تعالى في عباده يرسل إليهم من يهديهم إلى نجاتهم وسعادتهم.

موقف الكفار وعاقبتهم:

ثم يقول تعالى مسلياً نبيه -ﷺ- فيما يلقى من مشركي قومه من التكذيب ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم الذين ﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي بحجج من الله واضحة دالة على بنوتهم ﴿ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ أي بالكتب من عند الله ﴿ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ جاءهم من الله تعالى الكتاب الواضح لمن تأمل وتدبر وأنه هو الحق ، وهو المضيء في أخباره الصادقة وأحكامه العادلة.

فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئاً عن اشتباه أو قصور بما جاءتهم به الرسل بل بسبب ظلمهم وعنادهم ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ ثم أخذ الله تعالى هؤلاء الكافرين بعذاب عظيم ملائم لكفرهم وعنادهم بعد أن أمهلهم الله تعالى وأنظرهم، فانظر يا محمد كيف كان إنكاري عليهم عظيماً، شديداً، بليغاً وفي هذه الآية تحذير لكل من كفر أن يصيبهم العذاب مثل ما أصاب غيرهم.

بعض مظاهر القدرة الإلهية في الكون

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ هذا السياق الكريم ينبه على كمال قدرة الله ﷻ في خلقه للأشياء المتضادات التي أصلها واحد ومادتها واحدة وفيها من التفاوت والاختلاف ما هو مشاهد معروف فيقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ألم تبصر بعينيك أن الله أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات المختلفات والنباتات المتنوعات منها الأصفر والأحمر والأسود والماء واحد والأرض واحدة.

ومن مظاهر القدرة الإلهية أيضاً: الجبال التي جعلها أوتاداً للأرض، تجدها جبالاً مشتبكة، وفيها ألوان متعددة من الجدد، وهي الطرق التي تكون في الجبال، والجبال شديدة السواد، يقول ابن جريرالعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا: أسود غربيب.

قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ ﴾

ومن مظاهر القدرة الإلهية أيضاً، الناس والدواب والأنعام، فيها اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات، والكل من أصل واحد فالناس منهم في غاية السواد، ومنهم في غاية البياض،

ومنهم مابين ذلك، والكل من أصل واحد، وكذلك الدواب، وهو: كل ما دب على قوائم والأنعام وقد ذكرت هنا من باب عطف الخاص على العام كلها مختلفة الألوان والأشكال حتى في الجنس الواحد فتبارك الله أحسن الخالقين.

العلم سبيل الخشية:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ ففيها دليل عل سعة علم الله تعالى، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظرة غفلة لا تحدث له التذكر، وإنما ينتفع بها من يخشى الله تعالى ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها، لذلك يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر، يقول سعيد بن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله ﷻ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ كشف الله تعالى في هذه الآية عن حقيقة ينبغي أن يعرفها أهل مكة المصرون على الكفر والتكذيب، وهي أن الله قادر على أخذهم والبطش بهم، فإنه عزيز لا يُمانَع فيما يريد، وغفور لذنوب التائبين من عباده مهما كانت ذنوبهم، ألا فليتب هؤلاء فإن توبتهم خير لهم من إصرارهم على الشرك والكفر، إذ في التوبة نجاة وفي الإصرار هلاك.

من هداية الآيات:

- تقرير نبوة الرسول محمد -ﷺ- وتأكيد رسالته.
- تسلية الدعاة إلى الله ليتذرعوا بالصبر ويلتزموا الثبات.
- بيان سنة الله تعالى في المكذبين الكافرين وهي أخذهم عند حلول أجلهم.
- بيان مظاهر القدرة والعلم الإلهي في اختلاف الألوان والطباع والذوات.
- العلم سبيل الخشية من الله تعالى فمن لا علم له بالله فلا خشية له.

القيم المستفادة:

- الإقرار بنبوة محمد -ﷺ-.
- الصبر على الدعوة.
- طلب العلم.

التقويم

س١ - صِلْ بين الكلمة ومعناها:

الكلمة	المعنى
جدد	الكتب
الزبر	المعجزات
غرابيب سود	طرق
البينات	الجبال الطوال السود

س٢ - ذكر الله عز وجل في الآيات المفسرة صبر الرسول ﷺ على الدعوة.

عدد أربعة أمور أخرى ينبغي الصبر عليها:

١ - ..... ٢ - .....

٣ - ..... ٤ - .....

س٣ - العقل نعمة عظيمة ينبغي للمسلم أن يستفيد منها في التأمل والتفكر.

اذكر ما تراه من مظاهر قدرة الله يجب التفكر فيها.

.....

.....

س٤ - استخرج من الآية التي درست ما يدل على أن العلم سبيل الخشية من الله.

.....

.....

الدرس الثالث عشر

آيــة الــقــــرَّاء[١]

سورة فاطر - الآيات (من ٢٩ - ٣٠)

التمهيد:

قد بيّن الله تعالى في كتابه العظيم في كثير من الآيات ، فضل القرآن وشرف أهله العالمين العاملين به ، واستفاضت السنة عن النبي -ﷺ- في كثير من الأحاديث ما يبين فضل القرآن العظيم ، وشرف أهله الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته ، ومن هذه الأحاديث :

ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - -ﷺ- «مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ؛ والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»[٢] . وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله -ﷺ- قال : «لا حسد[٣] إلا في اثنتين : رجل علَّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جارٌ له فقال : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل»[٤] .

وروى البخاري من حديث عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي -ﷺ- قال «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[٥] .

---

(١) - كان مطرف بن عبد الله - رحمه الله - وهو أحد التابعين إذا قرأ هذه الآية التي معنا يقول: هذه آية القراء ؛ لما فيها من فضل وشرف لأهل القرآن.

(٢) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ٥٠٢٠، ومسلم في كتاب الصلاة ٧٩٧.

(٣) - لا حسد: المراد بالحسد هنا الغبطة وهي أن يتمنى المرء ما لأخيه من نعمة من غير أن تزول عنه.

(٤) - رواه البخاري في كتاب العلم ٧٣، ومسلم في كتاب الصلاة ٨١٦.

(٥) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ٥٠٢٧.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال : قال رسول الله –ﷺ– : «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه» .

النص:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
يتلون	يقرؤون القراءة المتضمنة للعمل .
يرجون تجارة	يأملون . والرجاء هو الأمل والطمع في تحصيل المطلوب والمراد بالتجارة : المعاملة مع الله تعالى لنيل الثواب .
لن تبور	لن تخسر ولن تهلك ، أي تجارة رابحة .
غفور	يستر ذنوب عباده ويتجاوز عنها .
شكور	يعطي على العمل القليل الثواب الكثير .

الشرح الإجمالي للآيات:

سبل الخشية من الله تعالى:

بعد أن ذكر الله تعالى من عباده العلماء الذين يخشونه ولا يخشون أحداً إلا هو ؛ ذكر في هذه الآيات مقتضى الخشية من الله ﷻ ، وما يعين عليها من تلاوة القرآن العظيم وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل طاعة الله والتقرب إلى مرضاته . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ يقرؤون القرآن ويعملون بما فيه إذ ليس معنى التلاوة مجرد قراءته بل قراءة تورث العمل بما فيه ، وقد جاء في الأثر (رُبَّ قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) .

وعبّر بالفعل المضارع بقوله : ﴿ يَتْلُونَ ﴾ ليفيد المداومة على قراءته والاستمرار عليها ، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أدوها مقوَّمة على أكمل وجه ، كما أرادها الله تعالى من المحافظة على شروطها وأركانها وواجباتها وسننها ، لأن لفظ الإقامة يدل على الحسن والإتقان .

﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ أدوا ما وجب عليهم من الزكوات إلى مستحقيها ، وتقربوا إلى الله بالصدقات يؤدونها لاختلاف الأحوال في السر والعلانية ، وهم يؤدون تلك الأعمال من تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والإنفاق : ﴿ يَرْجُونَ ﴾ يطمعون ويأملون ﴿ تِجَٰرَةً ﴾ رابحة ألا وهي رضا ربهم والفوز بجزيل ثوابه ﴿ لَّن تَبُورَ ﴾ لن تخسر ولن تكسد ، لأنهم بذلك يتعاملون مع الله تعالى .

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ ليعطيهم ثواب أعمالهم الصالحة تلك ، عطاءً مضاعفاً لا نقص فيه ، ويزيدهم -فوق أجورهم- من فضله وإنعامه وإحسانه ، وقد قيل : إن توفية الأجور هو ما يستحقه المطيع من الثواب ، والزيادة هي : التضعيف فوق ذلك أو النظر إلى وجه الله تعالى .

﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ غفور : مبالغ في الغفران لأهل القرآن ، لأن الله تعالى يغفر ذنوب عباده ، ويتجاوز عنها ، وشكور : شاكر لطاعتهم ،ولأعمالهم فيعطيهم الجزاء الجزيل

على العمل القليل ؛ وفي هذه الآيات ما يجعل المسلم يتقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة حتى يفوز بهذا الأجر العظيم .

مـن هـدايـة الآيـات:

- بيان شيء من صفات المؤمنين .
- الحث على الأعمال الصالحة التي أعظمها تلاوة القرآن والصلاة والإنفاق .
- فضل تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والإنفاق في وجوه الخير .
- الإنفاق يختلف باختلاف الأحوال : تارة يكون سراً ، وتارة يكون علانية ، وإن كان الأولى الإسرار به .
- إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى : الغفور الشكور .
- المسلم يعبد الله تعالى طمعاً في جنته ، وخوفاً من عذابه .

القيم المستفادة:

- الحرص على الأعمال الصالحة .
- الشوق إلى الجنة .
- الاعتزاز بالقرآن الكريم .

التقويم

س١ - أجب عن الأسئلة الآتية:

أ - اذكر حديثاً واحداً يدل على فضل قراءة القرآن الكريم .

.....

ب - ما صلة الآيات بما قبلها؟

.....

جـ - بيّن معاني الكلمات الآتية :

يتلون : ..... يرجون : ..... لن تبور : .....

س٢ - اذكر من الآيات الكريمة ما يدل على المعاني الآتية :

أ - الرجاء : هو عبادة قلبية من أعظم العبادات وهو الطمع فيما عند الله تعالى من الفضل والنعيم .

.....

.....

ب - أداء الصلاة كما أرادها الله تعالى .

.....

.....

جـ - يختلف الإنفاق في سبيل الله باختلاف الأحوال والظروف .

. .....

. .....

. .....

س٣ - ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة و علامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي:

أ - للتلاوة معنى عام يتضمن العلم والعمل . (.....)

ب - المسلم يعمل العمل الصالح طمعاً بالجنة . (.....)

جـ - يقتصر جزاء الله ﷻ للمؤمنين على عملهم الصالح . (.....)

الدرس الرابع عشر

فريق في الجنة وفريق في السعير

سورة فاطر - الآيات (من ٣١ - ٣٧)

التمهيد:

شرَّف الله تعالى هذه الأمة المرحومة بأعظم كتاب ، وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ ويصدِّق ما بين يديه من كتب الله تعالى التي أنزلت قبله ؛ ثم أورث الله تعالى هذا الكتاب مَن اختارهم من هذه الأمة وما أعدَّ لهم من الثواب العظيم في جنات عدن وما لهم فيها من النعيم المقيم ، أما من كفر بهذا القرآن ولم يرفع به رأساً ، فجزاؤه جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، فهو في عذاب مقيم ، سرمدي لا ينقطع عنه أبداً . وفي هذه الآيات بيان فضل الله تعالى على هذه الأمة ، وأقسامهم وثوابهم ، وجزاء من تنكب عن الصراط المستقيم .

النـص:

وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُمۡ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
مصدقا لما بين يديه	لما تقدمته من الكتب كالتوراة والإنجيل .
أورثنا الكتاب	قضينا وقدرنا بأن نورث هذا الكتاب .
اصطفينا	اخترنا – والاصطفاء الاختيار .
ظالم لنفسه	رجحت سيئاته على حسناته .
مقتصد	استوت حسناته وسيئاته .
سابق بالخيرات	رجحت حسناته على سيئاته .
جنات عدن	جنات فيها إقامة دائمة .
من أساور	جمع أسورة وهي حلية تلبس في اليد .
الحَزَن	كل ما يحزن ويغم .
لا يمسنا فيها نصب	لا يصيبنا فيها تعب ولا مشقة .
لا يمسنا فيها لغوب	لا يصيبنا فيها إعياء ولا فتور .
وهم يصطرخون	يستغيثون ويصيحون بشدة .
وجاءكم النذير	الذي يخوفكم عذاب الله هو النبي ﷺ .

الشرح الإجمالي للآيات:

تصديق القرآن للكتب السابقة، وأنواع ورثته، وجزاء المؤمنين:

بعد أن بيّن الله تعالى فضل الذين يتلون كتاب الله تعالى وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقهم سراً وعلانية ذكر في هذه الآيات ما يدل على عظم القرآن ومكانته عند الله تعالى . فقال : ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ أي وهذا القرآن أنزله الله تعالى إليك يا محمد ﴿ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ الثابت الذي

لا يزول ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكتب التي تقدمته فهو لها مصدق وشهد عليها بالصدق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ مطلع على بواطن أمورهم ، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم ، ويعلم ما فيه مصلحة لهم .

ثم شرّع الله تعالى مبيناً فضل هذه الأمة – أمة محمد –ﷺ– قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ أي جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصطفين من عبادنا ، ممن اخترناهم واجتبيناهم ،وأولى الناس بهذه النعمة وأحراهم بهذه الرحمة هم : العلماء ، والمصطفون ، ينقسمون إلى :

١ – ظالم لنفسه : وهو من رجحت سيئاته على حسناته ؛ فخلط عملاً صالحا وآخر سيئاً .

٢ – مقتصد : وهو من استوت حسناته وسيئاته .

٣ – سابق للخيرات : وهو من رجحت حسناته على سيئاته .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ أي الاصطفاء : ﴿ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ الفضل العظيم من الله لا يُقدر قدره .

قال المفسرون : هذه الآية من أرجى آيات القرآن العظيم ، وقدّم الله الظالم لنفسه في الوعد لئلا يقنط وأخَّر السابق بالخيرات لئلا يعجب بعمله فيحبط .

وبعد أن ذكر سبحانه و تعالى أحوال هذه الأمة بيَّنَ جزاءهم وما لهم ، بقوله تعالى :

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ ليست جنة واحدة ، بل جنات ، وهي البساتين يقيمون فيها ، لا يتحولون عنها .

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا ﴾ يزيَّنون فيها ﴿ مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ ﴾ هذه الأساور التي تحلى بها الأيدي ، من ذهب مرصعة باللؤلؤ . ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ؛ فلما كان الذهب والحرير (سندس – استبرق) محرماً على رجالهم في الدنيا لما فيه من الرقة ، أباحه الله تعالى لهم في الآخرة ،

إكراماً من الله لهم ، وبعد أن رأوا ذلك النعيم الذي هم فيه ، حمدوا الله تعالى على ذلك : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ ، الذي أزال عنا الهموم والغموم والأكدار والأحزان ، وعبر بالفعل الماضي ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ لتحقق وقوعه .

﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ يستر ذنوب عباده ويتجاوز عنها ويعطي الثواب الكثير العظيم على العمل القليل . واللام في قوله ﴿ لَغَفُورٌ ﴾ للتأكيد ، وغفور شكور على صيغ المبالغة ، أي واسع المغفرة ، عظيم الشكر .

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ ﴾ ثم حمدوا الله تعالى أن أنزلهم هذا المقام ، في دار تطيب فيها الإقامة لكثرة خيراتها ، وتوالي مسراتها ، وزوال نغائصها وأحزانها ، وذلك كله بعظيم فضله وكرمه ، ورحمته ولن يتحولوا عنها بل هم في اقامة دائمة بعد أن كانوا في الدنيا في دار لا راحة فيها ولا استقرار قيل للربيع بن خثيم وهو أحد العباد ، وقد كان يقوم الليل ويصوم النهار : اتعبت نفسك ، فقال : راحتها أطلب . ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ فلا يمس فيها تعب ولا مشقة على أبدانهم ، ولا إعياء ولا فتور بل هم في راحة دائمة مستمرة . .

جزاء الكافرين وأحوالهم في النار:

ثم بعد أن بيّن الله تعالى جزاء عباده المصطفين من هذه الأمة ، ثنّى بذكر ضدهم ، وهم من كفر وتنكب عن الصراط المستقيم ، وبيّن ما هم فيه من العذاب : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ ﴾ فهم في حالهم هذا يرون أن الموت راحة لهم فينتظرونه ، ولكن لا يحكم عليهم بالموت ليستريحوا كما قال تعالى : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ (طه ٧٤) ولا يخفف عنهم العذاب ، بل هم في عذاب مستمر دائم بل ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ (الإسراء ٩٧) وهذا جزاء كل من غطّى قلبه عن الأدلة والبراهين ، وأصم أذنه عن سماع الحق فكفر بالله ولم يؤمن بالرسالة ، ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ وحالهم في النار أنهم ﴿ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ يصيحون بشدة ويستغيثون قائلين ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا ﴾ من هذا العذاب الفظيع ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ يتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا ليعملوا العمل الصالح ولكن هيهات . فردّ الله عليهم موبخاً لهم

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ أي أو ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم . قال قتادة رحمه الله تعالى : اعلموا أن طول العمر حجة فنعوذ بالله أن نعيَّر بطول العمر . وجاء في الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله –ﷺ– قال : «لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين . لقد أعذر الله تعالى إليه ، لقد أعذر الله تعالى إليه»[1] . وقال تعالى ﴿ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ أي وجاءكم الرسول ومعه كتاب الله يخوفكم عذاب الله وعقابه إن خالفتم أمره وتركتم طاعته . قال المفسرون إن الله احتج عليهم بأمرين هما : طول الأمل ، وإرسال الرسل .

﴿ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ أي فذوقوا عذاب النار جزاء مخالفتكم للرسل ولن تجدوا لكم نصيراً ينصركم من عذاب الله تعالى .

من هداية الآيات:

- عظمة القرآن الكريم ووجوب العمل بما فيه من عقائد وأحكام .
- فضل هذه الأمة التي اختصها الله تعالى بأعظم وأفضل كتاب وهو القرآن العظيم .
- بيان أقسام هذه الأمة .
- تفاوت أهل الإيمان في العلم والعمل .
- بيان شيء من نعيم الجنة وما أعد الله تعالى لهم من الفضل والكرامة .
- بيان شيء من عذاب النار وما أعد الله تعالى لأعدائه فيها من النكال والجحيم .
- يجب على المرء أن يشغل عمره في طاعة الله تعالى ، إذ طول العمر حجة عليه إن لم يعمل صالحاً .

---

(١) – أصله في البخاري كتاب الرقاق ٦٤١٩.

القيم المستفادة:

- الاعتزاز بكتاب الله تعالى .
- الشوق إلى الجنة .
- الحذر من العذاب .

التقويم

س١ - ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يلي:

- الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة . (.....)
- في ذكر لباس أهل الجنة ما يدل على أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه . (.....)
- عمر الإنسان حجة له أو عليه . (.....)

س٢ - علل لما يأتي:

- التعبير بالفعل الماضي في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ . . . ﴾

.....

- تقديم الظالم لنفسه في الذكر وتأخير السابق بالخيرات .

.....

س٣ - أجب عن الأسئلة الآتية:

أ - ما صلة الآيات بما قبلها؟

.....

.....

ب – وصف القرآن الكريم بأنه ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ فما تفسير ذلك؟

. . . . . .

. . . . . .

جـ – ماذا يستفيد المسلم سلوكياً من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾؟

. . . . . .

. . . . . .

س٤ – ارجع إلى أحد كتب التفسير المعتمدة وبيّن ما يلي:

أ – نوع الفاء في قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ . . . ﴾

. . . . . .

ب – نوع اللام في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

. . . . . .

جـ – الفرق بين يصرخون ويصطرخون

. . . . . .

الدرس الخامس عشر

تدبير الله تعالى الملك بعلمه وقدرته

سورة فاطر – الآيات (من ٣٨ – ٤١)

التمهيد:

أن الله ﷻ قد بيَّنَ مصير الطيبين ومآل الظالمين ، وقد وضع سبحانه كلاً في مكانه المناسب حسب ما تقتضيه حكمته ، وحسب الأعمال التي قام بها كل فريق ، فكان من المناسب أن يعقّب الله تعالى على ذلك بأنه عالم الغيب وحده لاشريك له ، وهذه الآيات تسترسل في بيان المعاني الجليلة والموضحة لمهام الاستخلاف في الأرض وعاقبة من يتخلف عن ركب الإيمان .

النص:

إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٣٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۚ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
خلائف	يخلف بعضكم بعضاً في الدنيا .
مقتاً	غضباً شديداً .
بينة	دليل وبرهان .

الشرح الإجمالي للآيات:

علم الله المطلق:

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ يخبر الله تعالى بعلمه غيب السموات والأرض وما يدور فيهما من طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر أو توحيد أو شرك ، وأنه يعلم ما تكنه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر ، فيعطي كلاً ما يستحقه ، وينزل كل أحد منزلته .

الاستخلاف في الأرض:

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩ ﴾ .

وإنه ﷻ قد استخلف الإنسان في الأرض ، ليحقق العبودية لله تعالى فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ أي يخلف قوما قوماً آخرين ، ويأتي جيل بعد جيل .

﴿ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ ﴾ أي فإنما يعود إثم ذلك الكفر على نفسه دون غيره ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ ﴾ أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى ، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين ، فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ، ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره ، وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين .

المطالبة بالدليل:

﴿ قُلۡ ﴾ المأمور بالقول هو : الرسول محمد -ﷺ- ﴿ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الأصنام والأنداد والشمس والقمر والشجر والحجر ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي ليس لهم شيء خلقوه لأنفسهم في الأرض وليس لهم شيء يملكونه في السماء فالكل لله وحده لاشريك له .

﴿ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ ﴾ أم أنزل الله عليهم كتاباً ، فيه ما يصرح لهم باتخاذ

الشريك أو الند لله تعالى ، فيكون بذلك معهم حجة أو برهان على أفعالهم ، ﴿ بَلْ ﴾ : تفيد الإضراب ونفي السابق وإثبات اللاحق ، أي ليس معهم بينة على أقوالهم ولا أفعالهم ولكن هذه أوهام والحقيقة : ﴿ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ والظالمون يعد بعضهم بعضاً أن طريقتهم هي المثلى ؛ وأنهم هم المنتصرون في النهاية . وإن هم إلا مخدوعون مغرورون ، يغر بعضهم بعضاً ، ويعيشون في هذا الغرور الذي لا يجدي شيئاً ، إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي يمنوها لأنفسهم ، وهي غرور وباطل وزور .

قدرة الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ ﴾ : أي إن الله يتحكم في أمر السموات بشموسها وأقمارها ونجومها وأفلاكها وأجرامها ومجراتها ، أن يضطرب شيء عن مكانه ، وكذلك يتحكم في الأرض بجبالها وعيونها وبحارها وسهولها ونجودها ، فكل ذلك في قبضة الله تعالى يتحكم فيه كيف يشاء ، فلا يجور شيء على شيء إلا بإذنه سبحانه ، وذلك من صميم رحمة الله بعباده على الأرض .

﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ أي لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو ، وهو مع ذلك حليم غفور ، أي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه ، وهو يحلم فيؤخر ، وينظر ويؤجل ولا يعجل ، ويستر آخرين ويغفر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

من هداية الآيات:

- بيان علم الله لغيب السموات والأرض .
- مهمة الإنسان في الأرض أن يكون خليفة لله تعالى .
- تدبير أمر السموات والأرض مرجعه إلى الله وحده تعالى .
- لا يزداد الكافر بكفره إلا بعداً من الله تعالى .
- كشف الحقائق والأوهام في الآخرة .

- حلم الله تعالى يسبق غضبه .

القيم المستفادة:

- الإيمان بالغيب .
- إخلاص العبودية لله وحده .
- تعظيم الله تعالى .

التقويم

س١ :

١ – هاتِ معاني الكلمات التي تحتها خط في الآيات السابقة .

. .....

. .....

. .....

٢ – ما سبب استخلاف الإنسان في الأرض؟

. .....

س٢ – استخرج هذه المعاني من الآيات السابقة:

١ – الكافر لا يزداد بكفره من الله إلا بعداً .

. .....

٢ – لو ترك الله أمر السموات والأرض لاضطرب كل شيء .

. .....

س٣ – اختر الجواب المناسب مما بين القوسين لمايأتي :

- كلمة (بل) في الآيات تفيد (العطف – الإقرار – الإضراب) .

. .....

الدرس السادس عشر

لاعدوان إلا على الظالمين

سورة فاطر – الآيات (من ٤٢ – ٤٥)

التمهيد:

قد يتمنى الإنسان إدراك شيء فاته ، فيتمنى لو أنه أدرك هذا الشيء ليأخذه وليكون متميزاً به عن غيره ، فإذا به يظهر كذبه وعدم جديته فيما يدعى عندما تأتيه الفرصة مرة أخرى ، فلا يستغل الظروف لصالحه ، وإن دلّ هذا فإنما يدل على عدم الصدق والوفاء .

النص:

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا
نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا
قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
جهد أيمانهم	أعظم الأيمان وأوكدها .
نفورا	تباعداً عن الحق وقبوله .
يحيق	يحيط .
ليعجزه	ليغلبه .
أجل مسمى	وقت معلوم .

الشرح الإجمالي للآيات:

أيمان ووعود:

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ﴾ أي أقسمت قريش قبل بعثة النبي -ﷺ- بأغلظ الأيمان لأن بعث الله فينا رسولاً لنكونن أحسن حالاً معه من اليهود والنصارى مع رسلهم ، حيث أنهم كانوا قد بلغهم تكذيب اليهود والنصارى لرسلهم ، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ وهو محمد -ﷺ- ﴿ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ما زادهم إلا أن تباعدوا عنه ، وعاندوه وعارضوه ، وصدوا عن دعوته ، ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي مبالغة في الكبر والإعراض عن دعوة الرسول -ﷺ- وكان ذلك بسبب كفرهم وعنادهم ، ﴿ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ﴾ بصد الناس عن سبيل الله ﷻ والكيد لرسول الله -ﷺ- وتحريضهم على الكفر ، ومعصية الرسول -ﷺ- ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ وليست عاقبة هذا الصد والتحريض على الكفر راجعة بالعذاب إلا على الماكرين والمعاندين أنفسهم والمحرضين على الكفر برب العالمين ، وقد قال محمد بن كعب القُرَظِي :ثلاث من فعلهن لم ينجُ حتى ينزل به من مكر أو بغي أو نكث ، وتصديقها في كتاب الله : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ .﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ (يونس :٢٣) ، ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ (الفتح : ١٠) .

وقوله ﷻ : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يعني : فما ينتظرون إلا عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره ، ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ أي لاتغير ولا تبدل ، بل هي جارية كذلك في كل مكذب ، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ أي لاتتحول عنهم مادام الله تعالى قد أرادهم بالعذاب ، ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ (الرعد آية ١١) فلا يكشف ذلك عنهم ولا يحول عنهم .

دعوة إلى الفكر والتأمل:

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ هذه دعوة إلى السير في الأرض للعبرة والعظة بمن سبق وكيف كانت قوتهم بالنسبة لقوة هؤلاء ، والشاهد في ذلك قوله : ﴿ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ ، فقد كانوا أقوياء أغنياء في زمانهم ، ولكن لمّا استطالوا على أنبياء الله ورسله أخذهم الله تعالى على ما كانوا فيه من القوة وكثرة العدد فما أغنى ذلك شيئاً ولا دفع عنهم من عذاب الله شيء .

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فلم يكن لهم قدرة على مواجهة الله تعالى ، بل أهلكهم وعذبهم ، وهاهم أولاء على مرمى قريب منكم وهي قرى عاد وثمود ، فامشوا في الأرض وانظروا عاقبتهم ، وإلى مساكنهم كأنها لم تغن بالأمس ، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ عليماً بمن يستحق تعجيل العقوبة ، لعلمه أنه لاخير فيه ، ومن لايستحق تعجيل العقوبة ، فلربما أراد الله تعالى أن يمهله ليتوب ، أو ليأخذه أخذاً شديداً إذا أصر على الكفر والعناد ، قديراً على إهلاكهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾ يعني من الذنوب . ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ قال ابن مسعود : يريد جميع الحيوان مما دب ودرج . وقال أيضاً – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كاد الجعل أن يعذب في جحره بذنب ابن آدم . وقال يحيى بن أبي كثير : أمر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر ، فقال له رجل : عليك بنفسك فإن الظالم لا يضر إلا نفسه . فقال أبو هريرة : كذبت والله الذي لا إله إلا هو ! ثم قال : والذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت هزلاً في وكرها

بظلم الظالم . وقال الثمالي ويحيى بن سلام في هذه الآية : يحبس الله المطر فيهلك كل شيء . . ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ قال مقاتل : الأجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ . وقال يحيى : هو يوم القيامة . ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ ﴾ أي بمن يستحق العقاب منهم ﴿ بَصِيرًا ﴾ فهو يكافئ من يستحق المكافأة ، ويعاقب من يستحق العقوبة ، لأنه كان بهم بصيراً أي مطلعاً على أحوالهم . تم تفسير سورة فاطر والحمد لله رب العالمين .

من هداية الآيات:

- بيان كذب المشركين في وعودهم .
- عاقبة المكر السيئ تعود على صاحبها بالعذاب .
- الكافر لايزداد من الله إلا بعداً .
- سنن الله تعالى باقية وماضية .
- سنن الله تعالى لاتتبدل ولا تتحول .
- الاغترار بحلم الله تعالى مفسدة في الأرض .
- حلم الله بالناس وتأخير حسابهم ليوم القيامة .

القيم المستفادة:

- صدق العهد .
- بغض المكر .
- الحلم .

التقويم

س١ :

١ – هاتِ معاني الكلمات التي تحتها خط في الآيات السابقة

. . . . . .

. . . . . .

٢ – ماسبب نزول قوله ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ . . . . . ﴾ إلى آخر الآية؟

. . . . . .

س٢ – أجب عما يأتي:

١ – قال تعالى : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾

– استخرج من الآيات مايوافق هذه الآية في معناها؟

. . . . . .

٢ – علام يدل قوله –ﷺ– «المكر والخديعة في النار»؟

. . . . . .

س٣ – اختلفت آراء المفسرين في قوله تعالى ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ بيّن رأي كل مفسر ، ثم حدّد الراجح فيها .

. . . . . .

. . . . . .

الدرس السابع عشر

«عاقبة المكذبين»

سورة «يس» – الآيات (من ١ – ١٢)

التمهيد:

سورة «يس» سورة مكية ، وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم نسبة لذكر «يس» في أولها . وقد ارتكزت هذه السورة على محاور ثلاثة في العقيدة ، فهي تتعرض أولاً لحقيقة الوحي ، وصدق الرسالة ، وقضية التكذيب والتصديق المتمثل في قصة أصحاب القرية والرجل المؤمن ، وقضية البعث والنشور المتمثلة فيمن أنكر البعث بعد الموت لعظام قد بليت ، وسيتبين لنا في الصفحات التالية حقيقة الآيات وأهدافها .

النص:

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
يس	أحرف هجائية تكتب في أول السور والله أعلم بمراده .
حَقَّ الْقَوْلُ	وجب العذاب .
أَغْلَالًا	قيوداً .
مُقْمَحونَ	رافعو رؤوسهم بأعناقهم إلى أعلى .
فَأَغْشَيْنَاهُمْ	أصبناهم بالعمى فترة من الوقت .
وَآثَارَهُمْ	سننهم وأعمالهم .
إِمامٍ مُبِينٍ	اللوح المحفوظ .

الشرح الإجمالي للآيات:

سبب التسمية:

سميت السورة بـ(يس) لأن الله تعالى افتتح السورة بقوله ﴿ يسٓ ﴾ وفي الافتتاح بها إشارة إلى إعجاز القران الكريم .

التعريف بالسورة:

سورة يس ثلاث وثمانون آية وهي مكية وترتيبها السورة السادسة والثلاثون نزلت بعد سورة الجن .

بدأت بحروف هجائية وقامت السورة على محاور ثلاثة هي:

١ – الإيمان بالبعث والنشور .

٢ – قصة أهل القرية .

٣ – الأدلة والبراهين على توحيد رب العالمين .

الحروف المقطعة في القرآن الكريم:

﴿ يسٓ ﴾ من الحروف المقطعة في أوائل السور وقد ترد بمعنى من المعاني الثلاثة الآتية :

أولاً: الله أعلم بمراده .

ثانياً: للإعجاز والتحدي .

ثالثاً: لالتفات السامع . آي انتبه سوف يتلى عليكم قرآن من جنس كلامكم ، وهذه هي أحرفه ليست بغريبة عليكم ، وقد كانت قريش تصفق وتشوش على سماع القرآن الكريم فكان من المناسب أن يأتيهم بما يلفت انتباههم إلى تلاوة القرآن .

صدق الرسالة:

﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ بالجر على أنه مقسم به ابتداء . وقيل هو معطوف على «يس» على تقدير كونه مجروراً بإضمار القسم . والحكيم المحكم الذي لا يتناقض ولا يتخلف ، أو الحكيم قائله . وجواب القسم ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ وهذا رد على من أنكر رسالته من الكفار بقولهم : ﴿ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ ﴾ الرعد ٤٣ . بل هو من المرسلين بوحي الله إلى عباده ، قال النقاش : لم يقسم الله لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا لمحمد -ﷺ- تعظيماً له وتمجيداً ، وقوله : ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ : أي إنك على صراط مستقيم ، والصراط المستقيم : الطريق القيم الموصل إلى المطلوب . قال الزجاج : على طريقة الأنبياء الذين تقدموك .

﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قرأ نافع وابن كثير برفع «تنزيل» على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو تنزيل ، وقرأ الباقون بالنصب على المصدرية : أي نزل الله ذلك تنزيل العزيز الرحيم . وعبّر سبحانه عن المنزل بالمصدر مبالغة حتى كأنه نفس التنزيل أي نزَّل الله هذا القرآن تنزيل العزيز في انتقامه من أهل الكفر والمعاصي ، الرحيم بمن تاب من عباده وعمل صالحاً .

موقف الكفار من الرسالة:

وقوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ يعني بهم العرب ، فإنه ما أتاهم من نذير من قبله -ﷺ- ، فهؤلاء القوم ساهون عن الإيمان والاستقامة على العمل الصالح وكل أمة ينقطع عنها الانذار تقع في الغفلة وفي هذا دليل على وجوب الدعوة والتذكير على العلماء بالله وشرعه لايقاظ المسلمين من غفلتهم ، وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته -ﷺ- عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف ١٥٩) .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ ﴾ لقد قضي الله ﷻ في أمرهم فوجب عليهم العذاب ، وحق قدر الله ﷻ على أكثرهم ، بما علمه من حقيقتهم ، وحقيقة مشاعرهم برفضهم الحق .

﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، فإن نفوسهم محجوبة عن الهدى مشدودة عن رؤية دلائله أو استشعارها .

وهنا يرسم مشهداً حسياً لهذه الحالة النفسية ، يصورهم كأنهم مغلولون ممنوعون قسراً عن النظر ، محال بينهم وبين الهدى والإيمان بالحواجز والسدود ، مغطى على أبصارهم فلا يبصرون .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾ جعل في أعناقهم وأيديهم ـ وإن كان ذكر الأعناق بالقيد فمن باب أولى أن يكون القيد في اليدين ـ لأن هذا هو المراد أيضاً وقد شدت العنق مع اليدين بالقيد ﴿ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ أي رافعوا رؤوسهم إلى أعلى ، فإذا ارتفعت الرأس فلا ترى ولا تبصر ما أمامها وهذا مثال عظيم يجسد حال المشركين الذين ختم الله ﷻ على قلوبهم بالكفر ، أنهم مثلهم كمثل من غلت يده إلى عنقه بالقيود فأصبح غير قادر أن يمد يده بالإنفاق في الخير أو أن يخفض رأسه إذعاناً للحق ، فكذلك المشركون لما ختم الله ﷻ عليهم بالشقاء فلا يمكن أن يسلكوا سبيل الهداية أبداً بسبب ماجعله الله ﷻ في قلوبهم من الكفر والشرك لأنه بهذا أعمى أبصارهم وبصيرتهم ، وطمس على قلوبهم فهم لايهتدون .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ جعلهم يترددون في الضلالات فلا يصلون إلى الحق ولا يهتدون إليه ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أي حجبناهم عن الخير ، وقد قرأت :

فأعشيناهم وهو داء يصيب العين ليلاً فلا ينتفعون بخير ، ولا يصلون إليه من العمى الذي أصابهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : جعل الله تعالى هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان ، فهم لايخلصون إليه ،وقرأ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (سورة يونس) وكان من أسباب نزول هذه الآية حينما توعد أبو جهل أن ينتقم من رسول الله إن خرج عليهم ، فخرج -ﷺ- دون أن يبصره أحد منهم حين خرج .

المؤمن يخشى الله تعالى:

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي فقد ختم الله عليهم بالضلالة فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به ، ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ أي إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم ﴿ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ والخشية معناها خوف مع تعظيم وإجلال لله تعالى حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى ، فيعلم أن الله مطلع عليه وعالم بما يفعل ﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ ﴾ بمحو لذنوبه ﴿ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ أي كثير واسع حسن جميل وهو دخوله الجنة ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الملك) .

قدر الله تعالى:

ثم قال عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي يوم القيامة ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار ، الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة فيهديهم بعد ذلك إلى الحق ، وقوله : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ ﴾ أي من الأعمال . وفي قوله : ﴿ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ قولان :

أحدهما : نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم ، وآثارهم التي أثروها من بعدهم ، فنجزيهم على ذلك أيضاً ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ، كقوله -ﷺ- : «مَنْ سن في الإسلام

سنة حسنة ، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومَنْ سن في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزرُ مَنْ عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا»[١] .

وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم «عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : قال رسول الله -ﷺ- : «إذا مات ابن آدم ، انقطع عمله إلا من ثلاث : من علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده»[٢] .

والقول الثاني : أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية .

قال مجاهد : ﴿ مَا قَدَّمُوا ﴾ :أعمالهم . ﴿ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾ قال : خطاهم بأرجلهم قال قتادة : لو كان الله تعالى مُغفِلاً شيئاً من شأنك يا بن آدم ، أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار ، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله ، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله أو من معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله ، فليفعل .

وقد وَرَدَت في هذا المعنى أحاديث:

١ - عن جابر بن عبدالله ؛ قال : خلت البقاع حول المسجد . فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد . فبلغ ذلك رسول الله -ﷺ- ، فقال لهم إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد قالوا : نعم . يا رسول الله ! قد أردنا ذلك . فقال : «يا بني سلمة ! دياركم . تكتب آثاركم . دياركم . تكتب آثاركم»[٣] .

٢ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص توفي رجل ممن ولد بالمدينة فَصَلَّى عليه النبي -ﷺ- فقال يا ليته مات في غير مولده فقال رجل من الناس ولم يا رسول الله قال : «إن الرجل إذا مات في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة»[٤] .

---

(١) - رواه مسلم في كتاب العلم: باب: من سن سنة حسنة.
(٢) - رواه مسلم ٣/ ١٢٥٥.
(٣) - رواه أحمد ٣/ ٣٣٢، ومسلم ١/ ٤٦٢.
(٤) - رواه النسائي ٤/ ٧ وابن ماجة ١/ ٥١٥.

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ أي كل شيء من الأعمال والنيّات خيراً أو شر مكتوب في صحائف أعمالهم شاهدة عليهم ، والإمام المبين هنا هو سجل المقادير التي قدرها الله ﷻ على عباده .

من هداية الآيات:

- تقرير نبوة الرسول محمد -ﷺ- .
- بيان الحكمة من إرسال الرسول وإنزال القران العظيم .
- رسالة النبي جاءت على فترة من الرسل .
- الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة يحجز الإنسان عن الخير .
- من سن سنة حسنة أو سيئة ثم عمل بها يجزى عليها كما لو كان مباشراً عمله بيده .
- تقرير عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وأن كل شيء في كتاب المقادير .

القيم المستفادة :

- حب الرسول -ﷺ- والرسالة .
- الصدق .
- خشية الرحمن .

التقويم

س١ - أجب عما يأتي:

أ - هات معاني الكلمات الآتية :

- يس : ..... . حق القول : ..... .
- مقمحون : ..... . في إمام مبين : ..... .

ب - مالذي يفيده وجود الأحرف الهجائية في أوائل السور؟

..... .

جـ - ما السر البلاغي في قسم الله تعالى بالقران العظيم؟

..... .

س٢ - اختر الجواب الصحيح من بين القوسين فيما يأتي:

١ - من المحاور التي قامت عليها سورة «يس» :

(الحلال والحرام - محاربة الفواحش - الإيمان بالبعث والنشور) .

٢ - نزل قوله تعالى : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ ﴾ في :

(بني النجار - بني سلمة - المهاجرين) .

س٣:

١ – ما موقع قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ من الإعراب؟

.....

.....

.....

٢ – ماذا تعرف عن اللوح المحفوظ؟

.....

.....

.....

الدرس الثامن عشر

قصة أصحاب القرية

سورة «يس» - الآيات (من ١٣ - ٢٧)

التمهيد:

بعد عرض قضية الوحي والرسالة ، وقضية البعث والحساب ، في هذه الصورة التقريرية ، يعود السياق ليعرضهما في صورة قصصية . تلمس القلب بما كان من مواقف التكذيب والإيمان وعواقبهما معروضة كالعيان في قصة أصحاب القرية . وفي الآيات الآتية بيان ذلك .

النص:

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ
فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا
تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا
تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُم
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾
ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾
بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
عززنا	قوينا وشددنا .
المبين	الواضح .
تطيرنا	تشائمنا .
لنرجمنكم	لنقتلنكم .
مسرفون	متجاوزون الحد فيما حرم الله .
فطرني	خلقني على غير مثال سابق .

الشرح الإجمالي للآيات:

أولاً : إرسال المرسلين إلى أهل القرية:

لازال السياق يقرر عقيدة الإيمان بالغيب حيث يقص علينا القرآن الكريم قصص الأمم السابقة : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا ﴾ الخطاب هنا للنبي -ﷺ- بأن يضرب مثلاً لقومه بـ ﴿ أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ فما هذه القرية ، ومن الرسل الذين أرسلوا إليها ، ومن الذين بعثهم إلى هذه القرية؟ أما عن القرية فقيل إنها أنطاكية ، وكان بها ملك يقال له أنطيخس بن أنطيخس وكان يعبد الأصنام ، فبعث الله إليهم ثلاثة من الرسل ، وهم صادق وصدوق وشلوم[1] ، فكذبوهم . والمعنى : حذر الرسول -ﷺ- المشركين من قريش من أن يحل بهم مثل الذي حل بأهل هذه القرية من العذاب . وضرب المثل في القرآن فيه فوائد جمة منها :

١ – تقريب الصورة لذهن المستمع .

٢ – إبراز العبرة والعظة في مثل هذه القصة .

---

(١) - ابن كثير.

٣ – قياس الأمور بعضها على بعض .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ أي بادروهما بالتكذيب ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ أي قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث . ﴿ فَقَالُوٓاْ ﴾ – ضمير القول يعود على المرسلين – لأهل تلك القرية ﴿ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ أي من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له ، ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ – ضمير القول يعود على أهل القرية للمرسلين – أي فكيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر ، تأكلون كما نأكل وتشربون كما نشرب فلم لا يوحي إلينا مثلكم ولو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة– وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة ، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ (التغابن الآية ٥) أي استعجبوا من ذلك وأنكروه . ولهذا قال هؤلاء ﴿ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ – فكان الرد من الرسل بـ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ أي أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم أنّا رسله إليكم ، ولوكنا كذبة عليه لا نتقم منا أشد الانتقام ، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ، ﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ يقولون : إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم ، فإذا أطعتم وأهديتم كانت لكم السعادة في الدنيا والاخرة ، وإن لم تجيبوا فظللتم فستعلمون عاقبة ذلك وليس لنا من الأمر شيء .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ التطير : معناه التشاؤم ، أي تشاءمنا بقدومكم علينا بماتحملونه من دعوتكم إيانا ، ولذلك قالوا : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، والرجم يكون بالحجارة حتى الموت أو يكون بالسب والشتم والتنبئ بغير علم وهذا توعد من المشركين لأهل الإيمان وتخويف لهم ، حتى يرجعوا عن دعوتهم إياهم ، فلذلك يخوفونهم بألوان وأصناف التعذيب ، كما فعل المشركون بأصحاب محمد –ﷺ– ولكن أهل الإيمان دائماً في صمود ومواجهة حاسمة لأهل الكفر بحقيقة أمورهم وما تنطوي عليه نفوسهم ، وما يجلب لهم من الهم والحزن شيء أكثر من صدهم عن السبيل وإعراضهم عن دعوة الحق ، وهذا هو شأن أهل الباطل دائماً أنهم كلما أعجزهم أهل الإيمان بالحجة والبرهان ، فلا يجدون أسلوباً يردون به إلا العنف والانحراف عن الحق والعدل في المعاملة ، فلذلك أجابوهم قائلين :

﴿ قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أي شؤمكم عليكم بسبب صدكم وإعراضكم لأننا إذا ذكرناكم بالله انتفضتم وثارت ثورتكم وغضبتم لأجل أصنامكم وأوثانكم ، وهذا مما لاشك فيه إسراف في فعل المنكرات .

ثانياً – الرجل المؤمن وقومه:

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ قيل : الرجل هو حبيب النجار ، وإتيان الرجل من أقصى المدينة دليل على أن تكذيبهم للرسل قد ذاع وانتشر ، وكونه يسعى : أي جاء ساعياً ، فذلك لأهمية الأمر ، والأمر مع كونه مهم إلا أنه عاجل أيضا لايحتمل التأخير لأنه متعلق بالعقيدة التى استقرت في نفس هذا الرجل فحركته لمناصرة رسل الله لما علم بحال قومه معهم فجاء صارخاً بأعلى صوته ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ لأنه قد سبق له التعرف عليهم وتأكد لديه أنهم رسل الله لما أظهروه عنده من معجزة ،فخشي على قومه أن يكذبوهم فيصيبهم عذاب أليم ، ثم قال ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ وبيّن لهم أن هؤلاء لايريدون منهم أجراً ولا مكافأة على دعوتهم إنما همهم هو هداية الخلق وتعريفهم على الخالق وحده لاشريك له ، ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ وهم مهتدون بما يدعونكم إليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده وهذا بيان فضل من سعى إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكأنما سألوه عن موقفه فأجابهم بما لايتوقعون منه لا سيما وهو في مواجهة الملك وحاشيته . ولم لايواجههم وقد وصف بالرجولة الحقة . فرفع صوته قائلاً دون خوف ولا وجل ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي وما يمنعني أن أخلص التوحيد لله تعالى وحده فهو الخالق المبدع على غير مثال سابق ، القادر على كل شيء فالطاعة له والعبادة له وحده ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وهذا فيه وعد ووعيد أي بين يديه سنقف والحساب عنده سبحانه وتعالى ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ الاستفهام هنا يفيد الإنكار والتوبيخ والتقريع أي ينكر عليهم بعد علمهم بربوبية الله وألوهيته أن يتخذ من دونه آلهة – والكلام هنا من باب إياك أعني ، وكذلك يعتبر أسلوباً جميلاً في الدعوة أن يوجه الداعية النصح والاتهام لنفسه أولاًحتى يتمكن من الاستحواذ على قلوب المدعوين – وهذا مما لاينبغي لعاقل بحال من الأحوال ناهيك عمن شرح الله صدره

بالإيمان .وقد استرسل في بيان المعتقدات الصحيحة التي تكون سبباً في تعلق العبد بربه ومنها كشف الضر الذي يترتب عليه كثير من أعمال القلب والتي منها تعلق القلوب بالآلهة المزيفة التي لا تدفع ضراً ولا تجلب نفعاً فلذا بيّن لهم قائلاً : ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ أي إن يردني الرحمن بسوء لا تستطيع آلهتكم أن تدفع عني ضراً ولاتجلب لي نفعاً وهذه حقيقتها ولو أني عبدتها معكم . ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي إن اتخذتها آلهة من دون الله .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب : يقول لقومه ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ الذي كفرتم به ﴿ فَٱسْمَعُونِ ﴾ أي فاسمعوا قولي ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أي الذي أرسلكم ﴿ فَٱسْمَعُونِ ﴾ أي فاشهدوا لي بذلك عنده ، وقد حكاه ابن جرير فقال : وقال آخرون : بل خاطب بذلك الرسل ، وقال لهم : اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي ، إني آمنت بربكم واتبعتكم ،وهذا القول الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى ،والله أعلم .قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما- وكعب ووهب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما- :فلما قال ذلك ،وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ،ولم يكن له أحد يمنع عنه .وقال قتادة :جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول :اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون ، فلم يزالوا به حتى أقعصوه ، وهو يقول : ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

عن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصه من دبره ، وقال الله له ﴿ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ ﴾ فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها . وقال مجاهد : قيل لحبيب النجار : ادخل الجنة ، وذلك أنه قتل فوجبت له فلما رأى الثواب ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾ قال قتادة : لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً لا تلقاه غاشاً لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه ، وقال ابن عباس نصح قومه في حياته بقوله ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وبعد مماته في قوله ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ رواه ابن أبي حاتم . وفي معنى تمنيه قولان :

١ – أنه تمنى أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته .

٢ – تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله .

﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ : بإيماني بربي وتصديقي المرسلين ، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لي من الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل ، فرحمه الله تعالى ورضي عنه ، فلقد كان حريصاً على هداية قومه .

ومثال ذلك ما حصل لعروة بن مسعود الثقفي –رضي الله عنه– عندما قال للنبي –صلى الله عليه وسلم– : «ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام . «فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : «إني أخاف أن يقتلوك» فقال لو وجدوني نائماً ما أيقظوني فقال له رسول الله – –صلى الله عليه وسلم– : «انطلق» فانطلق فمر على اللات والعزى فقال لأصبحَنك غداً بما يسوءك فغضبت ثقيف فقال : «يا معشر ثقيف إن اللات لا لات وإن العزى لا عزى أسلموا تسلموا يا معشر الأحلاف إن العزى لا عزى وإن اللات لا لات أسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال : «هذا مثله كمثل صاحب يس ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾»[1] .

من هداية الآيات:

- بيان فائدة ضرب المثل في القرآن الكريم .
- تعزيز العمل الدعوي بما يناسب الحال والمقام .
- تكذيب المشركين للمرسلين ليس بجديد على الناس .
- مهمة الرسل تبليغ رسالة الله ﷻ .
- العجز عن قيام الحجة يدفع بصاحبه إلى استخدام العنف في التصرف والسفه في القول .
- التطير معتقد قديم لدى أهل الشرك والكفر .

---

(١) – رواه الحاكم ٣/ ٦١٥.

- ثقة الدعاة إلى الله في ربهم تجعلهم دائماً في ثبات ويقين .
- الغيرة على الدين تدفع بصاحبها إلى النصح ولو ترتب على ذلك ما يضره .
- الشهادة في سبيل الله تعالى أسمى ما يتمناه المؤمنون من رب العالمين .

القيم المستفادة:

- الإيمان بالرسل .
- الثقة بالله تعالى .
- حرمة التطير والتشاؤم .

التقويم

س١ - أجب عن الأسئلة الآتية:

١ – من المخاطب بقوله تعالى ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا ﴾؟ ومن أصحاب القرية؟

.....

.....

٢ – ما الفائدة من ضرب المثل في القران الكريم؟

.....

.....

س٢ - أكمل ما يأتي:

١ – قيل إن الرسل الذين أرسلوا إلى القرية هم .....

و ..... و ..... .

٢ – الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى هو ..... .

٣ – التعبير بقوله (من أقصى المدينة ، ويسعى) يدل على أن الأمر .....

..... و ..... .

س٣ - علل ما يأتي:

١ - بعثة المرسلين إلى الناس .

. .....

. .....

٢ - مفاجأة الرجل المؤمن بمناصرة المرسلين .

. .....

. .....

٣ - إجابة أهل القرية المرسلين بالتطير والتشاؤم منهم .

. .....

. .....

الدرس التاسع عشر

الاعتبار بهلاك الأمم السابقة

سورة «يس» - الآيات (من ٢٨ - ٣٦)

التمهيد:

سنة الله تعالى ثابتة لا تتغير ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ (غافر : ٨٥) فها هي سنة الله تعالى في المخالفين لدعوة الرسل ، أن عذبهم الله في الدنيا قبل عذاب الآخرة ، ما يدعو المرء إلى أن يخشى عذاب الله تعالى ويبتعد عن مواطن غضبه وموجبات سخطه ، فإذا قرأ مثل قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ ﴾ (الفجر : ٦ - ١٣) يثمر في قلبه الخوف من الله تعالى والفرار إليه .

النـص:

وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ۝٢٩ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٠ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٣١ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
من بعده	من بعد أن هلك الرجل الصالح حبيب النجار ومات على أيديهم .
من جند	من عسكر والمراد بهم الملائكة .
إن كانت	إن بمعنى ما أي ما كانت .
صيحة	صوتاً مهلكاً من السماء .
خامدون	الخمود انطفاء النار والمراد أنهم ميتون كما تخمد النار .
يا حسرة	يا ويلاً أو يا تندماً والحسرة هي شدة الندم والتألم والحزن على ما مضى .
ألم يروا	ألم يعلموا ، والاستفهام هنا للتقرير .
كم أهلكنا	كم : خبرية بمعنى كثيراً .
من القرون	من الأمم .
لما جميع	لما بمعنى إلا .
محضرون	للحساب والجزاء .
آية	علامة ودلالة .
وفجرنا فيها	شققنا في الأرض العيون .
سبحان الذي	تنزيه الله تعالى عن كل صفة نقص وعيب .

الشرح الإجمالي للآيات:

هلاك المخالفين للرسل:

بعد أن بيّن الله تعالى حال ذلك الرجل الصالح الناصح الذي قتله قومه ودخوله الجنة ، أردف ذكر المخالفين للرسل وسنة الله تعالى فيهم في الحياة الدنيا ثم هم يردون إلى ربهم فيعذبهم في الآخرة .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ أي وما أنزلنا على قوم ذلك الرجل المؤمن الذي قتلوه من جند من السماء وما كنا منزلين أي جنداً من الملائكة بل الأمر أيسر من ذلك والأمر لا يحتاج إلى كثير عناء . ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ أي ما كان هلاكهم إلا بصيحة واحدة شديدة . ﴿ فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ أموات لا حراك بهم كما تطفأ النار وتخمد .

عظة وعبرة:

ثم قال الله تعالى : ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾ أي يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعوا من أمر الله وفرطوا في جنب الله كيف الحال بهم إذا عاينوا عذاب الله تعالى؟ ! ثم بين الله تعالى سبب حسرتهم على أنفسهم أنهم كانوا ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ يستخفون ويستهزئون بالرسل وبما جاءوا به من عند الله تعالى .

ثم بين الله تعالى حال الأولين بقوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ أي لم يتعظوا ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ كثيراً ما أهلكنا ﴿ مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ من الأمم الماضية كعاد وثمود ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي أنهم لا رجعة لهم إلى الدنيا .

والمعنى : ألا يعتبر المكذبون من هلاك الأمم الماضية أنهم لا يرجعون إليهم لأنهم انتهوا من الدنيا وليس لهم الرجوع إليها .

وبعد أن ذكر الله تعالى أنه أهلكهم ، أعقب بأن الجميع محضر لديه سبحانه للحساب والجزاء فقال تعالى : ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ جميع الأمم ماضيها وحاضرها ستحضر يوم القيامة بين يدي الله ﷻ فيجازيهم بأعمالهم .

من دلائل وحدانيته سبحانه:

ثم ساق الله تعالى الأدلة والبراهين العظيمة على ربوبيته على خلقه أجمعين مما يدل على توحيده وعبادته وحده لا شريك له . قال الله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ علامة لهم ودليل على وحدانية الله وقدرته العظيمة أن أحيي الأرض اليابسة المجدبة التي لا زرع فيها ولا نبات بإنزال المطر عليها فتدب فيها الحياة فتنبت لهم أنواعاً من الحبوب يأكلونها قوتاً لهم ولأنعامهم ، وفي الآية إشارة إلى عقيدة البعث والنشور . فإنه سبحانه ، يحيي الأموات كما يحيي هذه الأرض الميتة فهي آية عظيمة محسوسة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ أي وصيرنا في الأرض بساتين متنوعة وحدائق زاهية فيها من النخيل والأعناب . ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ أي شققنا في الأرض أنهاراً سارحة تنتشر في تلك البساتين ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ لما أمتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها ، وقوله جل وعلا ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي وما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم لا بسعيهم ولا كدهم ولا حولهم وقوتهم قاله ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما- وقتاده ، ولذا قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ أفلا يحملهم ذلك على شكر الله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، فيقوموا بعبادته وحده لا شريك له ، والاستفهام في قوله : ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ للتوبيخ .

ثم قال ﷻ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ ينزه الله تعالى نفسه عن كل نقص وعيب ، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ الأصناف مما تنبت الأرض من الحبوب والثمار ﴿ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ من الذكور والإناث ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة .

مـن هداية الآيات:

- بيان عظمة الله تعالى .
- الملائكة جند لله عز وجل ينزلهم لإهلاك المكذبين .
- المكذبون للرسل سيجدون أعمالهم حسرات عليهم .
- بيان عدل الله تعالى .
- الاستهزاء بالدين من أعمال الكافرين الموجبة لغضب الله تعالى .
- إثبات البعث والجزاء .
- بيان شيء من بديع صنع الله ﷻ الدال على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته .
- شكر الله تعالى على نعمه يكون بالإيمان والعمل الصالح .

القيم المستفادة:

- بغض الكفر .
- شكر الله ﷻ .
- طاعة الله ﷻ .

التقويم

س١ – بيّن معاني المفردات الآتية :

- من جند : ..... . خامدون : ..... .
- من القرون : ..... . وآية : ..... .

س٢ – اختر الإجابة الصحيحة مما يأتي :

- يستفاد من إخبار الله ﷻ في كتابه عن إهلاك المكذبين :

  – الاعتبار . – التسلية . – التكرار .

- أصل كلمة الخمود كما في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ :

  – الموت . – النوم . – انطفاء النار .

- نوع «كم» في قوله تعالى ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن ٱلْقُرُونِ ﴾ :

  – استفهامية . – خبرية . – مصدرية .

س٣– أجب عن الأسئلة الآتية:

- تتجلى في الآيات الكريمة قدرة الله تعالى وقوته . . . وضح ذلك؟

..... .

..... .

- ما الفائدة السلوكية من تذييل الآية الكريمة بقوله ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾؟

.....

.....

- في الآيات رد على الدهرية الذين يقولون لا رجعة لنا بعد الموت . وضح ذلك؟

.....

.....

س٤

أ – ما نوع الاستفهام فيما يلي:

- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾

.....

- ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾

.....

ب – وضّح معاني الحروف الآتية:

- لمّا في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا ﴾

.....

- إن في قوله تعالى : ﴿ إِن كَانَتْ ﴾

.....

- كم في قوله تعالى : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾

.....

الدرس العشرون

التذكير بآيات الله تعالى

سورة «يس» – الآيات (من ٣٧ – ٤٦)

التمهيد:

يبيّن الله تعالى في كتابه العظيم شيئاً من البراهين والدلائل على ربوبيته و أنه تعالى وحده المستحق لأن يعبد ؛ فمن تلكم الآيات العظيمة أحوال الأزمنة من اختلاف الليل والنهار وجريان الشمس والقمر والأجرام السماوية ، وما امتن الله به على عباده بأن جعل لهم طريقاً يتخذونه في البحر ويسيرون فيه كما يسيرون في البر بواسطة السفن ، كل هذه الآيات دلائل وبراهين على العبودية لله وحده لاشريك له ،قال تعالى :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (يونس :٣) . ولكن شأن هؤلاء الكفار من آيات الله تعالى أنهم معرضون عنها .

النص:

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
نسلخ	ننزع ، وأصل السلخ سلخ الجلد من البهيمة ، والمراد هنا : إخراج النهار إخراجاً لا يبقي معه شيئاً من ضوء النهار .
فإذا هم مظلمون	داخلون في الظلام .
والشمس تجري	تسير بسرعة .
لمستقر لها	لمكان تستقر فيه ، والمراد : مستقرها المكاني وهو تحت العرش ، وقيل : مستقرها الزماني وهو منتهى سيرها وهو يوم القيامة .
ذلك تقدير العزيز العليم	ذلك الجريان بتنظيم من الله العزيز ذو الغلبة والقوة ، العليم : الذي لا يغيب عن علمه شيء .
والقمر قدرناه	صيرنا مسيره في منازل .
منازل	مفرده منزل وهو المسافة التي يقطعها القمر في اليوم والليلة .
كالعرجون القديم	كعود عذق النخلة العتيق إذا اصفر ويبس .
أن تدرك القمر	أن تلحق معه في وقت واحد .
فلك	الفلك مجرى الكواكب وسمي بذلك لاستدارته .
يسبحون	يسيرون بانبساط ، أو يدورون .
ذريتهم	آباؤهم السابقون .
في الفلك	في السفينة ، والألف واللام في الفلك للعهد الذهني أي الفلك المعهودة في أذهانكم .
المشحون	المملوءة بالبشر والأنعام وأصناف المخلوقات والمراد بها سفينة نوح .
فلا صريخ لهم	لا مغيث لهم .

الشرح الإجمالي للآيات:

آيتا الليل والنهار:

مازال سياق الآيات في ذكر آيات الله تعالى الدالة على عظم خلقه وبديع صنعه ، قال الله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ أي من العلامات العظيمة والدلائل الباهرة على وحدانية الله وكمال قدرته الليل والنهار ، يتعاقبان بنظام دقيق محكم ، نُذهِب عن الليل ضياء النهار وننزعه منه فإذا هم في ظلام حالك دامس . وأنت ترى في قوله تعالى : ﴿ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ تعبيراً في غاية الجمال ، فهو يصور النهار وكأنه لباس ساتر يلف جسد الليل ثم إذا نزعناه ظهر ظلامه ، فالأرض تتزين بضوء النهار كما يتزين المرء باللباس .

آيتا الشمس والقمر:

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ أي والشمس تسير بقدرة الله تعالى وتسبح في هذا الفضاء الواسع إلى وقت حدّده الله ﷻ لها وهو يوم القيامة ، حيث تتكور ويذهب نورها وتسكن حركتها ، وقيل إن المراد بسير الشمس إلى مستقر لها هو مستقرها المكاني ، وهو تحت العرش ، ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له حين غربت الشمس : «أتدري أين تذهب؟» قلت : الله ورسوله أعلم . قال -صلى الله عليه وسلم- : «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، ويقال لها : ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾»[1] .

والشمس في سيرها الدقيق المنظم إنما هو بتقدير الله ﷻ لها ، العزيز الغالب الذي لا يغلب ، العليم بمصالح العباد ، والشمس يُعرَف بها الليل والنهار والقمر يُستدَل به على مضي الشهور .

---

(١) - رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن - باب: والشمس تجري لمستقر لها.

قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ الله ﷻ صيَّر هذا القمر في منازل ينزل كل يوم في واحد منها يبدأ هلالاً ثم ينمو ليلة بعد ليلة حتى يكتمل بدراً في منتصف الشهر ثم يبدأ في النقصان ، فإذا كان في آخر منازله دق واصفر وتقوس حتى يصبح مثل غصن النخلة اليابس إذا يبس انحنى وتقوس .

ثم قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾ أي لا يصلح للشمس ولا يسهل عليها أن مع القمر في سرعة سيره لأن لكلٍّ منهما مداراً خاصاً لا يجتمع فيه مع الآخر .

﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾ أي ولا يصلح لليل أن يسبق النهار فيجتمعان معاً بل يسيران كما قدرهما الله تعالى بحساب منتظم لا يتغير ولا يتبدل . ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء .

وأنت ترى أيها الطالب العزيز هذه الآيات العظيمة المحسوسة بعينك ، فهل زادك النظر فيهما إيمانا بالله ويقيناً .

آية السفن:

ثم بيَّنَ الله تعالى لعباده آية عظيمة تدل على قدرته وربوبيته وهي سفينة نوح وغيرها من السفن ، قال الله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ فالله ﷻ سخر البحر ليحمل السفن ، ومن ذلك أول سفينة ، وهي سفينة نوح عليه السلام التي أنجاه الله تعالى فيها ومن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلامُ غيرهم في ذلك الوقت ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ آباءهم ﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات التي أمره الله ﷻ أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ أي وجعلنا لهم سفناً مثل سفينة نوح يركبونها للسير في البحار . وقيل : جعلنا لهم من مثل هذه السفينة سفناً برية وهي الإبل يحملون عليها ويركبونها .

﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ في تلك السفن ﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ فلا مغيث لهم من الغرق . ﴿ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ أي لا أحد ينقذهم مما أصابهم . ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ وهذا استثناء منقطع تقديره : ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر ﴿ وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي إلى وقت معلوم عند الله تعالى .

صدود وإعراض:

ثم يخبر الله ﷻ عن تمادي المشركين في شركهم وضلالهم وعدم اكتراثهم بذنوبهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله ﷻ في الدنيا و الآخرة وقاية بالإيمان والعمل الصالح ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ باتقائكم ذلك . ولكن الشأن أنهم معرضون عن هذا ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ الدالة على التوحيد وصدق الرسل ﴿ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ لا ينظرون فيها ولا يتأملونها ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها .

من هداية الآيات:

- التذكير بنعم الله تعالى على خلقه ما يستوجب الشكر على تلك النعم .
- بيان بعض مظاهر ربوبية الله تعالى على خلقه .
- الشمس والقمر آيتان من آيات الله يسيران بنظام بديع دقيق منظم .
- تعظيم الله تعالى لنفسه العلية يستوجب تعظيمه حق التعظيم .
- حال الكفار هو الصدود والإعراض عن الآيات الشرعية الكونية .

القيم المستفادة:

- شكر النعم .
- تعظيم الله تعالى .
- الحذر من الإعراض .

التقويم

س١ – أجب عن الأسئلة الآتية:

أ – لماذا أكثر الله تعالى من الأدلة والبراهين على ربوبيته على خلقه؟

. .....

ب – ما التصوير البلاغي في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾؟

. .....

. .....

س٢ – ضع خطّاً تحت الإجابة الصحيحة:

أ – في قوله تعالى ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ :

١) تمثيل . ٢) تشبيه . ٣) استفهام . ٤) تعليل .

ب – موقف الكفار من الآيات الشرعية :

١) الإعراض . ٢) التكذيب . ٣) التعجب . ٤) كل ما سبق .

جـ – المراد بمستقر الشمس في الآية :

١) المكاني . ٢) الزماني . ٣) يحتمل المعنيين . ٤) اجتماعها مع القمر .

س٣:

أ - ما الفائدة السلوكية التي يستفيدها المسلم من النظر في آيات الله الكونية؟

.....

ب - اذكر بعض الحقائق التي ترشد إليها الآيات الكريمة؟

.....

.....

.....

الدرس الحادي والعشرون

الإيمان بالبعث

سورة «يس» - الآيات (من ٤٧ - ٥٤)

التمهيد:

إن الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان ، أوجبه الله ﷻ على عباده ، وقد دلّ على ثبوته في القرآن الكريم ولذلك قالَ تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (المؤمنون : ١١٥) ودليله من السنة عن أبي برزة الأسلمي -رضي الله عنه- قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه »[1] . ومن مقتضيات الإيمان باليوم الآخر أن يصدق المؤمن بكل ما يأتي بعده كنعيم القبر أو عذابه ، وسؤال الملكين ، والمحشر ، والصراط ، والميزان ، والجنة و النار .

النص:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

---

(١) - رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وقال حديث حسن صحيح.

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
صيحة واحدة	النفخة الأولى . وهي نفخة الفزع والموت .
هم يخصمون	يختصمون في أمورهم غافلين .
نفخ في الصور	نُفِخَ في القرن نفخة البعث والنشور .
الأجداث	القبور .
ينسلون	يسرعون في الخروج وقيل المشي السريع .
صيحة واحدة	أي ينفخ إسرافيل نفخة واحدة للبعث .
محضرون	نحضرهم للحساب والجزاء .

الشرح الإجمالي للآيات:

شح الكافرين:

وإن من جملة تربية اللّه ﷻ لعباده ، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم .قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

يقول تعالى وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله : أنفقوا من رزق الله ﷻ الذي رزقكم ، فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه للمساكين و أهل الحاجة ، فقال الذين أنكروا وحدانية الله للذين آمنوا بالله ورسوله : أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه و أغناه من رزقه وفضله ، يقولون : لا نعطي مَنْ حرمه الله ﷻ . وهذا الذي يزعمون باطل ؛ لأن الله ﷻ أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء ، فمنع الدنيا عن الفقير ـ لا بخلاً ـ وأمر الغني بالإنفاق ـ لا حاجة إلى ماله ـ ، ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له في مال الغني ، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله ﷻ وحكمته

في خلقه .ومن وجه آخر فإن المشيئة ليست حجة لعاص أبداً ، فإنه ـ وإن كان ـ فما شاء اللّه كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإنه تعالى مكَّن العباد ، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر واجتناب النهي ، فإذا تركوا ما أمروا به ، كان ذلك اختياراً منهم ، لا جبراً لهم وقهراً .

وفي قوله ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ وجهان : أحدهما : أن يكون من قول الكفار للمؤمنين ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : ما أنتم أيها القومُ في قولكم لنا : انفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم ، إلا في ذهاب عن الحق ، وجور عن الرشد مُبين لمن تأمله وتدبره ، أنه في ضلال . والوجه الآخر : أن يكون ذلك من قول الله ﷻ للمشركين ، فيكون تأويله حينئذ : ما أنتم أيها الكافرون في قولكم للمؤمنين : ﴿ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ ﴾ إلا في ضلال مبين ، أي أن قولكم ذلك لهم هو الضلال .

إنكار الكافرين البعث والجزاء:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

يخبر الله تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة والبعث في قولهم : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾؟ فيقول هؤلاء المشركون المكذبون أين وعيد الله ، والبعثَ بعد الممات ، ويستعجلون ربهم بالعذاب ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ ﴾ أي : الوعد بقيام الساعة

﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ أيها القوم ، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله . ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ، وهي النفخة ، ينفخ في الصور نفخة الفزع ، وهم لاهون عنها على عادتهم ، لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم ، وتشاجرهم بينهم ، الذي لا يوجد في الغالب إلا وقت الغفلة ، فبينما هم كذلك إذ أمر الله تعالى «إسرافيل» فنفخ في الصور نفخة يُطَوِّلُها ويَمُدُّها ، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتاً ، ورفع ليتاً ـ وهي صفحة العنق ـ يتسمع الصوت من قبل السماء . ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار ، تحيط بهم من جوانبهم ؛ ولهذا قال تعالى :﴿ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

أي وإذا أخذتهم وأصابتهم الساعة في وقت غفلتهم ، فإنهم لا ينظرون ولا يمهلون ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ أَيْ لا يستطيع بعضهم أن يوصي بعضاً لما في يده من حق ، وقيل لا يستطيعون أن يوصوا على ما يملكونه لا قليله ولا كثيره فالأمر أهم من ذلك . ويقول أنه لا يستطيع أن يوصي بعضهم بعضاً بالتوبة والإقلاع ؛ بل يموتون في أسواقهم و مواضعهم . ﴿ وَلَا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إذا ماتوا ، و يقول : ولا يستطيع من كان منهم خارجاً عن أهله أن يرجع إليهم ، لأنهم لا يُمْهَلون لذلك . ولكن يُعَجَّلون بالهلاك .

النفخ في الصور:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

المراد بالنفخ في الصور هنا هي النفخة الأولى وهي نفخة الفزع والموت التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم ثم بعد ذلك نفخة البعث ، و عن أبي هريرة في الحديث الصحيح :« إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور وأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر فقال أبو هريرة قلت : يا رسول الله وما الصور؟ قال : قرن فقلت : وكيف هو؟ قال : هو عظيم والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى ، نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السماء والأرض إلا ما شاء الله ويأمره فيمدها ويديمها ويطولها يقول الله ﷻ ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (ص : ١٥) ويكون ذلك يوم الجمعة فيسيّر الله الجبال فتمر مر السحاب ، ثم تكون سراباً ثم ترتج الأرض بأهله رجاً ، وهي التي يقول الله ﷻ ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ (النازعات : ٦ – ٨) . فإذا نفخ في الصور ، خرجوا من الأجداث والقبور ، ينسلون إلى ربهم ، أي : يسرعون للحضور بين يديه ، لا يتمكنون من التأنّي والتأخر كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (المعارج : ٤٣) .

﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

وفي تلك الحال ، يحزن المكذبون ، ويظهرون الحسرة والندم ، ويقولون : ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾ أي من رقدتنا في القبور التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها ، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾ وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم ؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد ، ولأنه ورد في بعض الأحاديث ، أن لأهل القبور رقدة قبيل النفخ في الصور كما قال أُبَيّ بن كعب ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة : ينامون نومة قبل البعث .

ويقول قتادة : وذلك بين النفختين .فيجابون ، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ . وقال الحسن : إنما يجيبهم بذلك الملائكة . ولا منافاة إذ الجمع ممكن . ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ أي هذا الذي وعدكم اللّه به ، ووعدتكم به الرسل ، فظهر صدقهم رَأْيَ عين . ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع لمجرد الخبر عن وعده ، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون ، ولا حسب به الحاسبون ، كقوله : ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ (الفرقان : ٢٦) ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ ﴾ (طه : ١٠٨) ونحو ذلك .

﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم و بعثهم من قبورهم إلا صيحة واحدة ، وهي النفخة الثالثة ينفخ فيها «إسرافيل» في الصور فتحيا الأجساد ﴿ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴾ يقول : فإذا هم مجتمعون لدينا قد أُحْضروا ، فأشهدوا موقف العرض والحساب ، لم يتخلف عنه منهم أحد . وهذا معنى قول الحق جلا وعلا : ﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾ (ق : ٤٢) وقال : ﴿ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ (الإسراء : ٥٢)

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٤ ﴾

يقول الله تعالى ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ﴾ يَعْني يَوْم الْقِيامَة ﴿ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا ﴾ كذلك ربنا لا يظلم نفساً شيئا ، يوفيها جزاء عملها الصالح ، ولا يحمل عليها وزر غيرها ، ولكنه يوفي كل نفس أجر ما عملت من صالح ، ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء ﴿ وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ يَقول : ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا .

من هداية الآيات:

- النفقة في سبيل الله ﷻ من دلائل الإيمان .
- بيان شح الكافرين وسخريتهم بشرائع الله ﷻ .
- الكافر يستبعد اليوم الآخر وينكره .
- ينفخ إسرافيل يوم القيامة ثلاث نفخات .
- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- يجازي الله ﷻ الناس يوم القيامة كل بحسب عمله ، ولا يظلم ربك أحداً .

القيم المستفادة:

- البذل .
- الخوف .
- حسن الظن بالله ﷻ .

التقويم

س١ – أكمل العبارات التالية:

- حكم الإيمان باليوم الآخر ..... ودليله من القرآن ..... .
- الملك الموكل بنفخ الصور هو : ..... ويقصد بالصور ..... .
- النفخة الأولى هي نفخة ..... والتي تليها نفخة ..... وبعدها ..... .

س٢ – علل ما يأتي:

- رفض الكافرين إطعام الفقراء والإنفاق عليهم .

..... .

..... .

- لا يظلم أحد يوم القيامة .

..... .

س٣ – استخرج معاني المفردات التالية:

- الصور : ..... .
- الأجداث : ..... .
- ينسلون : ..... .

الدرس الثاني والعشرون

نعيم الجنة

سورة «يس» - الآيات (من ٥٥ - ٦٨)

التمهيد:

أخبرنا رسول الله -ﷺ- عن أول زمرة تدخل الجنة فيما رواه البخاري ومسلم «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، ولا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبّحون الله بكرة وعشيا»[1] . لذا على المؤمن أن يسأل الله تعالى قائماً وقاعداً أن يجعله من أهلها الذين أحل عليهم رضوانه ، فلا يسخط عليهم أبداً .

النص:

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

(١) - رواه البخاري في كتاب: بدء الخلق الجزء الثالث ٣٠٧٣، ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها.

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
فاكهون	فرحون مسرورون معجبون .
ظلال	جمع ظلة أي في مكان لا شمس فيه .
الأرائك	جمع أريكة وهي السرر .
يدعون	يسألون ويتمنون ويشتهون .
وامتازوا	تميزوا وهي افتعلوا ، من ماز (يميز) ، فعل يفعل منه : امتاز يمتاز امتيازاً أي انفصلوا .
ألم أعهد إليكم	ألم أوصكم؟ والاستفهام للتوبيخ .
أضل	أغوى .
جبلاً	خلقاً .
اصلوها	ادخلوها .
طمسنا على أعينهم	أذهبنا أبصارهم .
مسخناهم	أذهبنا حركتهم .
نعمره	نطيل عمره .
ننكسه	يعود إلى الحالة التي كان عليها .

الشرح الإجمالي للآيات

نعيم أهل الجنة:

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

يخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات[١] فنزلوا في روضات الجنات يكونون في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصي ومصيرهم إلى النار ، وما هم فيه من أليم العذاب ، وإن كان فيهم أقرباؤهم وأهلوهم .

﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ وقوله ﷻ ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ ﴾ هم أصحاب الجنة وأزواجهم من أهل الجنة في الجنة ، قال ﴿ فِى ظِلَٰلٍ ﴾ أي في ظلال الأشجار ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ «مُتَّكِئُونَ» عليها ، اتكاء على كمال الراحة والطمأنينة واللذة . «الْأَرَائِكِ» هي السرر تحت الحجال[٢] متنعمون فرحون .

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ وقوله ﷻ ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ ﴾ كثيرة من جميع أنواع الثمار اللذيذة ، من عنب وتين ورمان ، وغيرها ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ أي مهما طلبوا وتمنوا من جميع أصناف الملاذ ، أدركوه .

وقوله تعالى ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ قال ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما- أي لهم نعيم آخر أكبر حين يكلمهم ربهم الرحيم بهم بالسلام عليهم وعند ذلك تحصل لهم السلامة الكاملة من جميع الوجوه كقوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الأحزاب : ٤٤) .

وقوله : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ في رفع سلام أوجه فيجوز : الرفع على البدل من «ما» أي ولهم أن يسلم الله عليهم ، وهذا مُنى أهل الجنة . ويجوز أن تكون «ما» نكرة و «سلام» نعتاً لها ؛ أي ولهم ما يدعون مسلم . ويجوز أن تكون «ما» رفع بالابتداء ، و «سلام» خبر عنها .

---

(١) - العرصات جمع عرصة وهي الساحة وهي كل موضع واسع لا بناء فيه .
(٢) الحجال مفردها حَجَل وهو ساتر كالقبة يزين الثياب والستور للعروس وجمعها حجلٌ وحجالٌ .

وعلى هذه الوجوه لا يوقف على ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

وقوله : ﴿ مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ يعني : رحيم بهم إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جرم في الدنيا .

و عن قتادة ، قوله تعالى : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ قال : عزلوا عن كل خير ، وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله وكونوا على حدة توبيخاً وتقريعاً لهم على رؤوس الأشهاد ، فإنكم واردون غير موردهم ، داخلون غير مدخلهم .

عداوة الشيطان:

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ وفي الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه منه ، وهو : ألم أوصكم وآمركم في الدنيا ألا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي وأقول لكم : إن الشيطان لكم عدو مبين ، قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود ، لأبيكم آدم ، حسداً منه له ، على ما كان الله أعطاه من الكرامة ، وغروره إياه ، حتى أخرجه وزوجته من الجنة .

﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ أي قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان وأمرتكم بعبادتي ، وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به .

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ ولقد أغوى الشيطان منكم خلقاً وأمماً وجموعا كثيرة ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له ، وعدولكم إلى اتباع الشيطان .

تحقق وعيد الله للكافرين:

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

يقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقريعاً وتوبيخاً ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى

﴿ كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي هذه جهنم التي حذرتكم منها الرسل في الدنيا على كفركم بالله فكذبتموهم . وقيل : إن جهنم أول باب من أبواب النار .

﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

يقول تعالى احترقُوا بها اليوم و يعني باليوم : يوم القيامة ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ يقول : بما كنتم تَجْحدونها في الدنيا ، وتكذبون بها . كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الطور : ١٣ - ١٥) .

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

بيَّنَ الله تعالى حال الكافرين والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوا ، فيختم الله على أفواههم و يجعلهم خرساً لا يتكلمون ، فلا يقدرون على إنكار ما عملوه من الكفر والتكذيب . فيستنطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوه ، وقد أنطقها الله تعالى الذي أنطق كل شيء . ودليله فيما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال : كنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فضحك فقال : «هل تدرون مم أضحك»؟ قال : قلنا «الله ورسوله أعلم» ، قال : «من مخاطبة العبد ربه يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال : يقول : بلى ، قال : فيقول : فإني لا أجير على نفسي إلا شاهداً مني ، قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال : فيختم على فيه ، فيقال لأركانه انطقي قال : فتنطق بأعماله ، قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بعداً لَكُنَّ وسحقًا فعنكن كنت أناضل»[1] .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

أي لو شئنا أذهبنا بإرادتنا وقدرتنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق ، وهو

---

(١) - صحيح مسلم: ٢٩٦٩ كتاب الزهد والرقائق.

معنى الطمس كما قال الله ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ (البقرة :٢٠) يقول : لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم ﴿ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ فتبادروا إلى الطريق ﴿ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ فكيف يبصرون ، وقد أعمينا أعينهم؟ يعني : لو نشاء لأضللناهم عن الهدى ، وتركناهم عمياً يترددون ، فكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن ، وقال ابن عباس ، معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم ، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا رشدهم ولم أفعل ذلك بهم؟ فكيف يبصرون الحق وقد أعماهم الله تعالى .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

أي لأذهبنا حركتهم ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا ﴾ إلى الأمام ﴿ وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ إلى ورائهم ليبعدوا عن النار بل يلزمون حالاً واحداً لا يتقدمون ولا يتأخرون . والمعنى أن هؤلاء الكفار ، حقت عليهم كلمة العذاب ، ولم يكن بُدٌّ من عقابهم وفي ذلك الموطن ، ما ثَمَّ إلا النار قد برزت ، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط وهو من أشد المواقف على الناس ، وهذا الموقف لا يستطيعه إلا أهل الإيمان ، الذين يمشون في نورهم بفضل من الله ﷻ . وفي حديث صحيح طويل عن القيامة وأهوالها عن أبي هريرة -رضي الله عنه- « . . فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا ، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب ، مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان . قالوا : نعم ، قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو»[1] ، وأما الكافرون فليس لهم عند اللّه عهد في النجاة من النار ؛ فإن شاء طمس أعينهم وأبقى حركتهم ، فلم يهتدوا إلى الصراط و لو استبقوا إليه وبادروه ، وإن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم ولا التأخر . المقصود : أنهم لا يعبرونه ، فلا تحصل لهم النجاة .

---

(١) - رواه البخاري/ ٨٠٦ وللحديث بقية طويلة.

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

يخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره ومد له فيه رد إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط وذلك هو النكس في الخلق ، فيصير لا يعلم شيئاً بعد العلم الذي كان يعلمه . كما قال تبارك وتعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الروم : ٥٤) وقال جل جلاله ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ (النحل : ٧٠) والمراد من هذا الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال لا دار دوام واستقرار ، ولهذا قال جل جلاله ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم إلى صيرورتهم سن الشيبة ثم إلى الشيخوخة ، ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة .

من هداية الآيات:

- كتب الله تعالى أن يجازي كل أحد على ما عمله .
- أهل الجنة لهم كل ما تهواه النفوس ، وتلذه العيون ، ويتمناه المتمنون .
- يتميز الكافرون يوم القيامة عن المؤمنين ليوبخهم ر بهم ويقرعهم على رؤوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار .
- حذّر الله تعالى من اتباع الشيطان غاية التحذير ، وأنذر عن طاعته .
- امتثال أوامر الله وترك زواجره هو الصراط المستقيم .
- الذين لم يحفظوا عهد الله تعالى ، ولم يعملوا بوصيته ، فوالوا عدوهم ضلوا كثيراً بسبب غواية الشيطان لهم .
- أدخل الله تعالى الكافرين النار يوم القيامة بسبب كفرهم بآيات اللّه ، وتكذيبهم لرسل اللّه .
- يختم الله على أفواه الكافرين يوم القيامة فتشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوا ، وينطقها الذي أنطق كل شيء .

- الإنسان عند تقدمه في السن يعود إلى حالة الضعف التي ابتدأ عليها ، ضعف العقل ، وضعف القوة .

القيم المستفادة:

- اليقين .
- الامتثال .
- التصديق .

التقويم

س١ – هاتِ من الآيات ما يدل على المعاني التالية:

أ – يتميز الكافرون يوم القيامة عن المؤمنين .

.....

ب – يختم الله على أفواه الكافرين يوم القيامة فتشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوا .

.....

جـ – الإنسان عند تقدمه في السن يعود إلى حالة الضعف التي كان عليها .

.....

س٢ – أجب عن الآتي:

أ – أخبر الله تعالى عن نعيم أهل الجنة ، اكتب في ذلك ما لا يزيد عن ثلاثة أسطر .

.....

.....

.....

ب – تحدث عن أثر اتباع الشيطان وترك الامتثال لطاعة الله تعالى .

. .....

. .....

س٣– علل ما يأتي:

أ – يختم الله على أفواه الكافرين يوم القيامة .

. .....

. .....

ب – عجز الكافرين عن اجتياز الصراط يوم القيامة .

. .....

. .....

جـ – عودة الإنسان إلى حالة الضعف الأولى عند تقدمه في العمر .

. .....

. .....

الدرس الثالث والعشرون

معجزة الله تعالى الخالدة

سورة «يس» – الآيات (من ٦٩ – ٧٦)

التمهيد:

القرآن الكريم هو الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وهو كلام الله الذي لا يدانيه كلام ، وحديثه الذي لا يشابهه حديث قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء : ٨٧) فمن اتبعه نجا ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ﷻ ، فهو المعجزة الخالدة الباقية إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها .

النص:

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
ما علمناه الشعر	ما أوحينا إليه شعراً وما علمناه إياه .والشعر الكلام المنظوم الموزون .
وما ينبغي له	وما يصلح له ولا يصح منه .
مبين	واضح بيّن .
لينذر	ليُبلغ ، من الإنذار وهو الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف .
ويحق القول على الكافرين	استحقاق العذاب على أهل الكفر بالله ﷻ .
أولم يروا	أولم ينظروا .
مما عملت أيدينا	مما تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد .
الأنعام	الماشية من أبل وبقر وغنم .
مالكون	ضابطون متصرفون .
ذللناها لهم	جعلناها ذليلة مطاوعة لهم في كل أمر .
نعلم ما يسرون	نعلم ما يخفون .
وما يعلنون	وما يظهرون .

الشرح الإجمالي للآيات:

تقرير نبوة الرسول -ﷺ-:

ينزّه الله تعالى نبيه محمد -ﷺ- عما رماه به المشركون من أنه شاعر ، وأن ما جاء به من القرآن شعر ، فقال : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾ أي محمد -ﷺ- ما علمه الله تعالى شعراً ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ وما هو من طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ، ولهذا ورد أنه -عليه الصلاة والسلام- كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم .

فعن قتادة في قوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ قال : قيل لعائشة هل كان رسول الله -ﷺ- يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت : كان أبغض الحديث إليه ، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل آخره أوله وأوله آخره ، فقال له أبو بكر : إنه ليس هكذا . فقال نبي الله -ﷺ- «إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي»[1] رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ أي ما هذا الذي علمناه وجاء به ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ يُذّكر به الله ﷻ وعظة يتعظ به المؤمنون ﴿ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ بيّن واضح جلي لمن تأمله وتدبره ، وأنه تنزيل من الله ﷻ وليس بشعر . ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب ، مستنير البصيرة ، يعقل ما يقال له ، ويفهم ما يبين له . ﴿ وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ويحق العذاب على أهل الكفر بالله ﷻ المولين عن اتباعه المعرضين عما أتاهم به ، لأنهم ميتوا القلب لا يقبلون النذارة .

تأمل النعم:

ثم يأمر الله تعالى العباد بالنظر إلى النعم التي أنعم بها على خلقه بقوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ أعَمِيَ أولئك المشركون ولم ينظروا إلى مظاهر قدرتنا وإحساننا الموجبة لعبادتنا؟ وما سخّر لهم من الأنعام وذللها لهم ، مالكين لها ، متصرفين فيها كيف شاؤوا بالقهر والضبط ، ولم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ مطيعة لهم

---

(١) - السلسلة الصحيحة للألباني (٧/ ٢٥٤) حديث مرسل منقطع / اسناده صحيح.

في كل أمر يريدونه منها ، وأنه جعل لهم فيها منافع كثيرة : من حملهم وحمل أثقالهم وأمتعتهم من محل إلى محل ، ومن أكلهم لحومها .

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ ولهم في هذه الأنعام منافع كالصوف والوبر والشعر باتخاذهم من ذلك أثاثاً ومتاعاً ، ومشارب جمع مشرب وهي ألبانها وأبوالها للتداوي ونحو ذلك ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ في ختام هذه الآية يوبخهم الله تعالى على أكل النعم وعدم شكر المنعِم أفلا يشكرون نعمتي هذه وإحساني إليهم بتوحيدي وطاعتي وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام .

الكفار جند الآلهة:

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ينكر الله تعالى على المشركين اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يبتغون بذلك نصرهم من عقاب الله وعذابه فقال تعالى في إبطال هذا الرجاء وقطعه عليهم ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف من ذلك وأذل لأنها أصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر . ﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ أي والحال أن المشركين هم جند تلك الأصنام محضرون يدافعون عنها ويحمونها من أن يمسها أحد بسوء ، فكيف ينصرك من هو مفتقر إلى نصرتك ، وقيل أن هذه الأصنام محشورة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في خزيهم وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين من قومك والمراد من هذا النهي تسلية الرسول -ﷺ- عما يواجهه به المشركون من أنه ساحر أو شاعر وغير ذلك

﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ نحن نعلم أنهم ما قالوا ذلك إلا حسداً لك وإلا فهم يعلمون إنك رسول الله وما أنت بساحر ولا شاعر ، ولكن حملهم على ما يقولون الحسد والعناد والكبر ، هذه جملة تذييلية المراد منها أمران :

١ - تطمين الرسول -ﷺ- على كفاية الله تعالى له وأن كيدهم لا يضره .

٢ - تهديد للمشركين بإعلامهم أن الله مطلع على ما يمكرون وسيجزيهم به .

من هداية الآيات:

- تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن ذكر وليس شعراً كما يقول المبطلون .
- الحكمة من نزول القرآن هي أن ينذر به الرسول -ﷺ- الأحياء من أهل الإيمان .
- بيان خطأ الذي يقرأ القرآن على الأموات ويترك الأحياء من أهل الإيمان .
- وجوب ذكر النعم وشكرها بالاعتراف بها وصرفها في مرضاة واهبها وحمده عليها .
- بيان سخف المشركين في عبادتهم أصناماً يرجون نصرها وهم جند معبأ لنصرتها من أن يمسها أحد بسوء .

القيم المستفادة:

- تقرير نبوة محمد -ﷺ- .
- شكر النعم .
- توحيد الله ﷻ .

التقويم

س١- من خلال تأملك في الآيات المفسرة صف شعورك تجاه نعم الله تعالى عليك.

.....

.....

س٢- للقرآن الكريم أسماء كثيرة اذكر أربعة منها.

....

س٣- بِمَ وصف المشركون الرسول -ﷺ-؟ وبم رد الله تعالى عليهم؟

.....

.....

س٤- عدّد نعم الله تعالى على الإنسان والمذكورة في الآيات السابقة.

- .....
- .....
- .....
- .....
- .....
- .....

س٥- استنبط الفائدة من قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

.....

.....

س٦- ارجع لأحد كتب التفسير ـ مسترشداً بمعلمك ـ وبيّن معنى قوله تعالى:

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

.....

.....

الدرس الرابع والعشرون

دلائل قدرة الله تعالى على البعث

سورة «يس» – الآيات (من ٧٧ – ٨٣)

التمهيد:

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء تلك العقيدة التي يتوقف عليها هداية الإنسان وإصلاحه فنجد البعض يستبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والأرض للأجساد والعظام الرميمة ونسي نفسه وأن الله ﷻ خلقه من العدم فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره .

النص:

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

مفردات الآيات:

المفردات	المعنى
خلقناه من نطفة	أوجدناه من مني .
خصيم مبين	شديد الخصومة يبيّن لمن حوله خصومته .
ضرب لنا مثلاً	مثل لنا شبهاً .
رميم	وبليت .
الشجر الأخضر	شجر المرخ والعفار .
إذا أراد شيئاً	أي خلق شيء وإيجاده .
بيده ملكوت	ملك كل شيء ، زيدت التاء للمبالغة في كبر الملك .
ترجعون	تردون بعد الموت .

الشرح الإجمالي للآيات:

سبب النزول:

سبب نزول الآيات رداً على (العاص بن وائل السهمي) وقيل (أبي بن خلف) حيث جاء إلى رسول الله -ﷺ- وفي يده عظم ففته وذراه في الريح ثم قال : أتزعم يا محمد أن الله يبعث هذا؟ فقال رسول الله -ﷺ- «نعم يميتك ثم يحييك ثم يحشرك إلى جهنم» ونزلت الآيات ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ الألف واللام في الإنسان للجنس فهي عامة في كل من أنكر البعث ، فهو ينكر قدرة الله ﷻ على الإحياء ، وهو يعلم ويرى أمراً يفيد اليقين التام أنا خلقناه من نطفة أي من ماء مهين ، وسويناه رجلاً فإذا هو مخاصم ربه الذي خلقه ويشرك به وينكر إحياءه للأموات ، وبعثهم يوم القيامة ، فكيف يعمى هذا العمى ويجهل هذا الجهل إذ القادر على البدء قادر عقلاً على الإعادة وهي أهون عليه .

أدلة البعث:

وقوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ هذا المنكر للبعث جعل لنا مثلاً لا ينبغي لأحد أن يضربه وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق ، وهو إنكاره علينا قدرتنا على البعث حيث جعل ذلك أمراً عجباً إذ لو ذكر أصل نشأته لخجل على ما قال وقوله ﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ أي قد رمت وبليت فكيف يعيدها ، ونسي خلقه من ماء مهين ، ولهذا قال تعالى ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ﴾ هذا قياس عقلي جلي واضح أن من أوجد شيئاً من العدم قادر على إيجاده مرة أخرى ، فالله ﷻ يعلم العظام في سائر أقطار الأرض أين ذهبت وأين تمزقت وتفرقت ، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى ، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم علم أنه أعظم من إحياء الله الموتى من قبورهم ، وهذا دليل ثانٍ من صفات الله تعالى ، ثم ذكر دليلاً ثالثاً من دلائل قدرته على البعث ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ ﴾ أن الذي يخرج من الماء الرطب البارد النار وهما لا يجتمعان قادر على إخراج الضد من الضد ، ثم ذكر دليلاً رابعاً فقال ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ ﴾ ووجه الدليل فيه أننا ننظر إلى السموات السبع وما فيها من خلق عجيب ، وإلى الأرض وما فيها كذلك ، وننظر إلى الإنسان فنجده لا شيء إذا قوبل بالسموات والأرض ، فنحكم بأن من خلقهما على عظمهما قادر من باب أولى على خلق الإنسان مرة أخرى بعد موته ، لذا أجاب تعالى عن سؤاله بنفسه فقال : ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ خلاق لكل من أراد خلقه العليم بكل مخلوقاته لا يخفى عليه شيء منها ، وبرهان خامس في قوله : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ ﴾ وجه الاستدلال أن من كان شأنه في إيجاد ما أراد إيجاده أن يقول له كن فهو يكون لا يستنكر عليه عقلاً أن يحيي الأموات بكلمة كونوا أحياء فيكونون كما طلب منهم ، وأخيراً ختم هذا الرد المقنع بتنزيه نفسه عن العجز فقال : ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ ، فإنه تعالى الملك المالك لكل شيء وجميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له يتصرف فيهم بأقداره الحكمية وأحكامه الجزائية فإعادته إياهم بعد موتهم لينفذ فيهم حكم الجزاء من تمام ملكه وعدله ، ولهذا قال : ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ من غير شك أحببتم أم كرهتم أيها الآدميون لتواتر الأدلة القاطعة على ذلك ، فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور .

من هداية الآيات:

- تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- مشروعية استعمال العقليات في الحجج والمجادلة .
- تنزيه الله تعالى عن العجز والنقص وعن الشريك والولد وسائر النقائص .
- تقرير أن الله تعالى بيده وفي تصرفه كل الملكوت فلذا لا يصح طلب شيء من غيره .

القيم المستفادة:

- التصديق بالبعث .
- التأمل في خلق الله .
- تعظيم الله ﷻ .

التقويم

س١ - أكمل المخطط السهمي التالي:

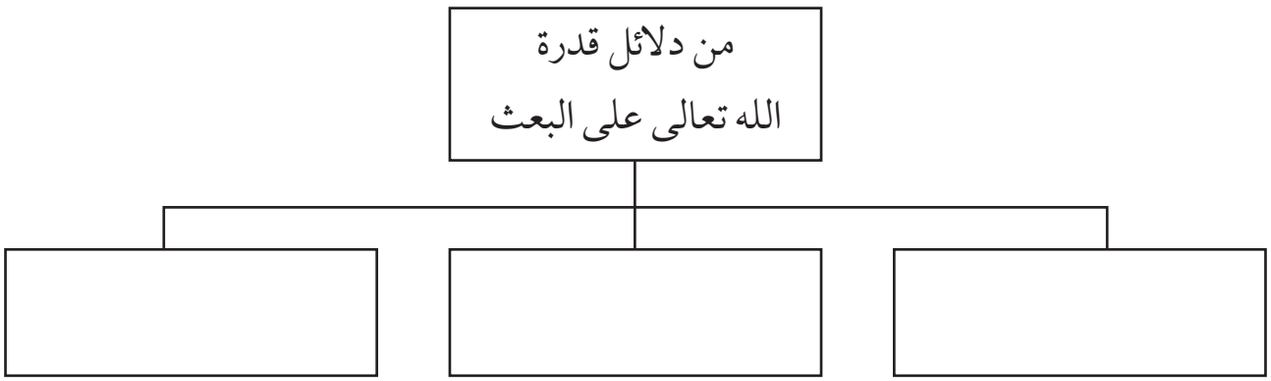

س٢- التكذيب باليوم الآخر وإحياء الموتى ديدن الكافرين.

بيّن ما يدل على ذلك مما وقع من أحد الكفار مع الرسول -ﷺ- .

. .....

. .....

. .....

س٣- ما الأثر الذي يتركه ضعف الإيمان باليوم الآخر على سلوك الإنسان؟

. .....

. .....

. .....

س٤- ستخرج من الآيات ما يدل على تنزيه الله تعالى عن النقص والعجز.

.....

.....

س٥- اكتب الكلمة القرآنية المرادفة لكل من:

- تردون : .....

- بليت : .....

س٦- علل: ختمت الآيات بقوله تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

.....

.....

المراجـــع

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ – جامع البيان في تفسير القرآن	القرطبي
٢ – تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
٣ – صفوة البيان	الصابوني
٤ – فتح القدير	الشوكاني
٥ – التفسير القيم	ابن القيم
٦ – في ظلال القرآن	سيد قطب

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم (٣٢١) بتاريخ ١٤/ ١١/ ٢٠١١م

مطبعة السياسة

ت: ٢٤٨٤٣٦١٠/٢٤٨٤٣١٥١